وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية في تونس خلال القرن 19 من خلال كتاب الإتحاف لإبن أبي الضياف .

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة: **تحت إشراف الأستاذة:**

بوقلقولة نعيمة **آل سيد الشيخ سعاد**

اللـــجنة المنـــــــاقشة

اسم الأستاذ ولقبه	الرتبة العلمية	الجامعة	الهمة
أ/ ناصر بلحاج	أستاذ مساعد"أ"	جامعة غرداية	رئيسا
أ/آل سيد الشيخ سعاد	أستاذ محاضر"أ"	جامعة غرداية	مشرفا مقررا
أ/ تريعة موسى	أستاذ محاضر "أ"	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي 1442هـ/2021م

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ

الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تونس خلال القرن 19 من خلال كتاب الإتحاف لإبن الضياف

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث

من إعداد الطالبة:

بوقلقـــــولة نعيمة

تحت إشراف الأستاذة:

آل سيد الشيخ سعاد

الموسم الجامعي:1442 ه/2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

لا يطيب الليل الا بشكرك ولا يطيب النهار الا بطاعتك ولا تطيب اللحظات الا بذكرك ..ولا تطيب الآخرة الابعفوك ...ولا تطيب الجنة الا برؤيتك –الله جلى جلاله–

الى حبيبنا ونور قلوبنا وذهاب همومنا وجلاء أحزاننا،الى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة..وأزال الغمة ... طبيب القلوب وشفاؤها ونور الأبصار وضياؤها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها الى التي غمرتني بفيض حنانها الى التي إحترقت لكي تنير لي دربي الى التي تجرعت الكأس فارغا لتسقيني الى التي جاعت لأشبع وسهرت لأنام وتعبت لأرتاح وبكت لأضحك وسقتني من نبع رقتها الى التي ربتني صغيرة ونصحتني كبيرة قرة عيني الى روحك الطاهرة أمي جعل الله قبرك روضة من رياض الجنة.

الى من كلله الله بالهيبة والوقار.. الى من علمني العطاء دون إنتظار ..الى من أحمل إسمه بكل إفتخار..ارجوا من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا حان قطافها بعد طول إنتظار..وستبقى كلماتك نجوما أهتدي بها اليوم وفي الغد والى الأبد أبي الغالي أطال الله في عمره.

الى من هم في الفؤاد مشاعر الإيمان الى من محبتي لهم فيض من الوجدان الى الورقة المسطرة على قلبي وأحملها أينما سرت الى من تقاسمت معهم أفراحي وأحزاني الى من كانوا لي نعم السند والعون في مواصلة تعليمي الى"إخوتي وأخواتي " أم الخير ،مباركة ، سعاد ،نادية، أخي الغالي عبد العالي.

الى من جمعني بهم منبر العلم والصداقة زملائي وزميلاتي الذين أكن لهم أسمى عبارات المحبة

الى يد الحب والعطاء الى أمني عند فزعي الى اليد المبسوطة لي دائما الى أختاي لم تلدهم أمي

آسيا – روميساء.

الى كل من وقف بجانبي وساندني الى من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر الى من صاغوا لنا العلم حروف الى كل من أحبه قلبي ولم يكتبه قلمي.

نعيمة

شكر وتقدير

الحمد لله الذي خلق الخلق وأحبه ،وزرع فينا حبه ،وجعل نور قلوبنا إيمانا ّ،ونور عقولنا

علما ،فهدانا بنورين للفضائل كلها ، أما بعد:

فلولا أن من الله عليا بفضله، فهيأ ضروفا ،وذلل صعابا ،وألهم وهدي، ما قدر لهذا البحث أن يرى النور،ولكن ولله الحمد فقد يسر له أسبابه، وفتح له أبوابه، فتحقق الأمل، ونلنا المراد، واعترافا منا بالجميل والتقدير وحسن الصنيع، أتقدم بوافر الشكر والإمتنان الى أستاذتي الفاضلة "آل سيد الشيخ سعاد" التي حظت مذكرتي شرف الإشراف عليها، ولما قدمته من نصائح قيمة ،وتوجيهات سديدة، كما لا أنسى كل أساتذة التاريخ الذين أخدنا منهم العلم والمعرفة على مدى 5سنوات .

كما أتوجه بشكرخاص للأستاذين الفاضلين الأستاذة محمى عائشة- الأستاذ موسى تريعة اللذان ساعداني لإنجاز هذا العمل .

المقدمة

تمهيد للموضوع

يعتبر القرن التاسع عشر من التاريخ التونسي قرنا محوريا ،إذ شهدت تونس خلاله تغيرات عديدة ،التي بدورها ساهمت في الكثير من التحولات السياسية والإقتصاديةوالإجتماعية للإيالة التونسية ،وذلك مع بروز الأسرة الحسينية التي تداولت على الحكم على فترتين الأولى من مؤسسها حسين بن علي علم 1705 م والفترة الثانية من حكم المشير أحمد باشا باي 1837 م إلى غاية فرض الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 م . وقد أعطت هذه الأسرة دفعا جديدا للبلاد وعملت على النهوض بتونس وتحسين أوضاعها عن طريق إدخال موجة من الإصلاحات في مختلف الميادين السياسية، العسكرية ، الثقافية ، الاقتصادية ، اللإجتماعية. وهذه الجوانب إهتم بها العديد من المؤرخين من بينهم أحمد بن أبي الضياف وهو من الرواة العارفين بأحوال البلاد في القرن 19 م والشاهد على أحداث الفترة الأخيرة من الوجود العثماني في تونس ، والتي دونها في كتابه الموسوعي اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمانفهو يعتبر أهم مصدر في تاريخ تونس الحديث، ومن هذا حدد موضوع مذكرتي التي تتمحور حول الحياة السياسية و الاقتصادية والإجتماعية لتونس خلال القرن 19 م من خلال كتاب إتحاف أهل الزمان لأحمد بن أبي الضياف ".

- الإطار الزماني والمكاني:

لقدحددت فترة الدراسة ما بين سنتي (1881-1837م) بحكم كوها فترة حرجة في مرحلة من مراحل تاريخ تونس الحديثة التي تميزت بعدم الاستقرار خاصة في الجانب السياسي والاقتصادي والإجتماعي. فسنة 1837م تمثل بداية حكم الأسرة الحسينية خلال فترتها الثانية من طرف الباي أحمد باشا باي، أما عام 1881م هي حماية حكم الأسرة الحسينية و تاريخ انتصاب الحماية الفرنسية على البلاد التونسية وتحول الباي إلى سلطة شكلية. وكل هذه الفترة تندرج ضمن الفترة العثمانية الحديثة، أما بالنسبة لاختيار تونس كمجال جغرافي فيعود إلى المصدر المختار وهو مصدر تونسي رئيسي الاتحاف لأحمد ابن أبي الضياف.

- أسباب ودواعي اختيار الموضوع:

لقد تعددت الأسباب التي دفعتني لإختيار هذا الموضوع،منها الذاتية والموضوعية و يمكن أن أذكر منها النقاط الآتية:

- ميولي الشخصي لدراسة تاريخ تونس في الفترة العثمانية وخاصة فيما يتعلق بالجوانب السياسية و الاقتصادية و الإجتماعية.

- محاولة الكشف وإزالة الغموض عن هده الفترة التي تعد من أهم المراحل البارزة في تاريخ تونس .

- الرغبة في الاطلاع أكثر على هذا الموضوع لفهمه بصورة أكبر .
- هده الدراسة أردت بها إثراء الباحثين والدارسين لتونس خاصة .

معرفة الحياة السياسية لتونس من منظور ابن أبي الضياف المعاصر للقرن 19 م.

التعرف على محتوى إتحاف أهل الزمان .

- إن دخول تونس في عهد جديد من خلال فترة حكم الأسرة الحسينية الثانية والتي عمل باياتها على النهوض بها من خلال القيام بعدة اصلاحات في مختلف الجوانب ما دفعني إلى معرفة هده الجوانب خلال هذه الفترة .

- محاولة التعرف على بعض البايات التونسيين وسياستهم في الجانب السياسي والاقتصادي والإجتماعي من خلال مصادر الإتحاف .

- محاولة مني التعرف على جزء مهم في تاريخ تونس السياسي و الاقتصادي والإجتماعي في القرن 19 م أو فترة (1837-1881م) و إزالة الغموض عنها والتي تعد من أهم المراحل البارزة في تاريخ تونس خاصة وتاريخ المغرب العربي الحديث عامة .

- سعيا مني إلى إضافة عمل متواضع يدرس فترة من تاريخ تونس الحديث الذي هو من مقاييس تخصصنا.

- **الإشكالية :**يتبين من كتاب الإتحاف أن هناك الكثير من الإجراءات والتدابير التي قام بها البايات الحسنيين في المجال السياسي والاقتصادي و الاجتماعي خلال القرن 19م أو فترة الدراسة التي حددتها من (1837-1881م) بتونس وهذا ما تسعى دراستنا إجابة عنه من خلال طرح الإشكالية الآتية :

- ماهي سمات الأوضاع السياسية والإقتصاديةوالإجتماعية التونسية حسب منظور ابن أبي الضياف ؟ و إلى أي مدى وفق البايات الحسنيين في ذلك؟ وكيف جسد أحمد ابن أبي الضياف اسهاماتهم في هذه المجالات ؟.

ونظرا للجوانب العديدة التي يتضمنها موضوعنا تم الوقوف على بعض الأسئلة الجزئية وهي: - من هو ابن أبي الضياف؟ وفيما تمثل مضمون كتابه الإتحاف ؟ ماهي العلاقة التي ربطت ابن أبي الضياف مع الباياتالحسينيين؟ كيف كان واقع الحياة السياسية و الاقتصادية والإجتماعية للبلاد التونسية خلال حكم الحسينيين

القرن 19م حسب منظور ابن أبي الضياف؟ وما هي أهم النشاطات والمجالات التي رسمت معالم هذه الحياة؟ .

ـ خطة المذكرة:

بناء على ما جاء في الإتحاف وضعت هيكل وخطة للدراسة بداية من المقدمة، ثلاثة فصول وخاتمة. فالمقدمة عرفت فيها بالموضوع مع وضع الخطوط العريضة لموضوع دراستي حتى أيسر للقارئ والباحث سبيل الاستفادة من المعلومات الواردة في بحثي محاولة أن أشد قارئ بالمقدمة وأجدبه الى إتمام قراءة باقي فصول وعناصر الموضوع. أما بالنسبة للفصل الأول فكان عنوانه: التعريف بشخصية ابن أبي الضياف وتندرج تحته أربعة عناصر مولده ونشأته _تعليمه ووضائفه _ وفاته وآثاره .وبالنسبة للمبحث الثاني: كان بعنوان دراسة كتاب الإتحاف، و ينضوي تحته عناصر ، التعريف بالكتاب وأسباب تأليفه –مضمون الكتاب – منهج إبن أبي دينار –أهمية وقيمة الكتاب التاريخية والعلمية . أما الفصل الثاني كان بعنوان : الحياة السياسية والإجتماعية في القرن التاسع عشر وبدوره تندرج تحته عناصر حكم الأسرة الحسينية الأولى والثانية (1705-1837م) - (1859-1881م)، ، أي من تأسيس الأسرة الحسينية الى فرض الحماية الفرنسية والأوضاع السياسية ،ثم عنصر به الأوضاع الإدارية، ، ثم الاجتماعية خلال حكمها. أما الفصل الثالث كان بعنوان :أوضاع االنشاط الاقتصادي في تونس ما بين (1837-1859م)، وكان بثلاثة مباحث، الأول: الأوضاع الاقتصادية العامة لتونس ،أما المبحث الثاني: النشاط الصناعي الحرفي، والنشاط الزراعي والفلاحي والمبحث الثالث النشاط الاقتصادي في تونس ما بين: (1859-1881م)،وقد جاء ضمنه عنصرين : اصلاحات محمد الصادق باي ووزيرة خير الدين التونسي في المجانين الزراعي الفلاحي والصناعي ، وبدورهم يندرج تختهم عدة عناصر.

ثم خاتمة التي جائت عبارة عن حوصلة لما تم عرضه و تقديمه في العمل متمثلة في استنتاجات، محاولة بذلك الإجابة عن الأسئلة المطروحة في المقدمية. كما ضمت للمذكرة مجموعة من الملاحق مدعمة ومكملة للموضوع وذات الارتباط الوثيق به، وكذلك قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدة عليها في العمل مرتلة ترتيبا هجائيا .

ـ المنهج المتبع في الدراسة:

من الطبيعي لدراسة ومعالجة أي موضوع الاعتماد على منهج معين، وبما أن تخصصنا وأبحاثنا في علم التاريخ توجب علي في عملي

هذا اتباع المنهج الخاص بالدراسات التاريخية وهو المنهج التاريخي الوصفي لأننا ندرس فترة مهمة من تاريخ تونس أواخر الحكم العثماني، فاستخدمته في

التعريف بالإيالة التونسية ورصد الأحداث التاريخية ترتيباكرونولوجيا ووضعها حسب مراحل البحث، كما وصفت كل جانب سياسي و نشاط اقتصادي على حدى وكذا الاجتماعي ، كذلك التعريف بشخصية أحمد بن أبي الضياف ووصف كتابه الإتحاف ومحتواه كما اعتمدت أيضا على المنهج التحليلي الذي انتجته في تحليل بعض الأحداث التاريخية ودراسة المادة العلمية في المصادر

بالإضافة الى المنهج المقارن في التقارية بين السياسة التي اتبعها كل باي خلال تلك الفترة لأن كل باي اتبع سياسة خاصة به واصلاحات مغايرة للباي الذي سبقه في الحكم.

أهم المصادر والمراجع:

إن هذا الموضوع يعاني من قلة المادة العلمية هذا ما جعلني أستعين بمختلف الدراسات والمراجع التي لها علاقة بالموضوع ولو بجزء قليل ، من قريب أو بعيد وهذا للإجابة على التساؤلات التي طرحتها سابقا في الإشكالية ،ومن بين هده المصادر والمراجع أذكر :

- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لصاحبه أحمد ابن أبي الضياف: وهو مصدر اعتمادنا عليه بشكل كبير في هذه الدراسة وبمعظم أجزائه خاصة الجزء الثالث ، الرابع ، الخامس والسادس ، ويعتبر مصدر مهم فهو القاعدة الأساسية التي بني عليها بحثنا، واستفدنا منه في كافة فصول الدراسة ورافق معظم صفحات هذا العمل وأفادنا في الأوضاع العامة بتونس خلال حكم الاسرة الحسينية الأولى بصفة عامة وفي معرفة الأحوال السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية والإجراءات التي قام بها البايات الحسينيون وما انبثق عنها خلال الفترة الحسينية الثانية بشكل خاص، التي أخصت الأحوال السياسية و الاقتصادية والإجتماعية في الفصل الأخير من هذه المذكرة .

- كما استعنت بمصادر أخرى لتأكيد المعلومة أو نقدها منها صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار لمحمد بيرم الخامس (الجزء 2) : والذي عاصر صاحبه الأحداث التي عاصرها وعايشها أحمد ابن أبي الضياف وكان موضوعي في كتاباته واستفدت منه في معرفة سياسة البايات الحسينيين الاقتصاديةوالإجتماعية والسياسية ومعرفة وزرائهم وانجازاتهم كالوزير مصطفيخزندار وخير الدين التونسي ودورهم في افساد أو اصلاح البلاد من الأزمات التي مرت بها.أيضا كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس.

- أما بالنسبة للمراجع نذكر: خلاصة تاريخ تونس لحسن حسني عبد الوهاب، انتصاب الحماية الفرنسية على تونس لعلي المحجوبي، النقود التونسية عبر التاريخ لزينالعابدين .

- كذلك اعتمدنا على المقالات والمجلات: مقال إيالة تونس في عهد أحمد باشا ل حسن جبار ابراهيم، وقد مكننا من معرفة مدى ما حققه من إنجازات أحمد باشا لتطوير البلاد، وبعض المقالات من مجلة الإتحاف، المجلة المغربية، ... وغيرها من المصادر والمراجع.

أما بالنسبة للدراسات السابقة المتخصصة في التاريخ الحديث التونسي خاصة السياسي و الاقتصادي والذي يسبق فرض الحماية الفرنسية على تونس فرأينا أن القرن 19م أو الفترة (1837-1881م) لم تحظى بالقسط الوافر من الدراسة لذا حاولت أن أبحث فيها وأسهم في اثرائها ولو بالقليل من خلال التطرق لهذا الموضوع وتقديمه للأجيال القادمة.

- **الصعوبات:** لقد احتاج هذا العمل إلى مجهود وفي المقابل واجهتني عدة مشاكل وصعوبات ومنها :

-صعوبة الحصول على المصدر (كتاب الإتحاف) الجزء الأول والثاني كونه غير متوفر الكترونيا ونادر ورقيا .

- بعض المراجع تتحدث بصفة عامة.

-بعد المسافة عن الأماكن التي تتوفر على المكتبات الكبيرة التي تساعدني على إعدادعملي هذا.

ولا يفوتني هنا أن أعتذر عن أي نقص أو خطأ،فكل عمل ينجزه صاحبه يعتريه النقصان ويؤثر عليه التقصير ، رغم محاولتي الملحة في بذل الجهد للأمام بكافة عناصر الدراسة فإن أصبت فهو من الله وإن أخطئت فهو من ضعف نفسي والشيطان .

ويبقى إعتقادي أن أفدت الأساتذة الأجلاء وملاحظاتهم سيكون لهما الأثر البالغ في إثراء هاته المذكرة وتصويب الزلات التي وقعنا فيها .

وشكرا.

الفصل الأول

شخصية إبن أبي الضياف وكتابه إتحاف أهل الزمان

المبحث الأول: نبذة عن أحمد بن أبي الضياف .

1- مولده ونشأته
2- تعليمه وشيوخه
3- وضائف ابن الضياف ووفاته وآثاره.

المبحث الثاني: دراسة كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان.

1- التعريف بكتاب الإتحاف وأسباب تأليفه.
2- مضمون الكتاب ومنهج المؤلف في كتابه الإتحاف .
3- أهيمة وقيمة الكتاب التاريخية والعلمية والمصادر المعتمد عليها في كتاب إتحاف أهل الزمان .

شخصية ابن أبي الضياف وكتابه إتحاف أهل الزمان

المبحث الأول:نبذة عن أحمد ابن أبي الضياف

تعد شخصية أحمد بن أبي الضياف من الشخصيات التي لعبت دورا بارزا في ثراء أبناء شمال إفريقيا بصفة خاصة بالحقائق التاريخية المهمة والدقيقة وذلك بمؤلفاته الغنية بها ، مما جعلت له منزلة تاريخية عظيمة ، فبقي إسمه محفورا لدى الذاكرة الجماعية ، رغم ذلك لم تسعفنا الدراسات بأخبار دقيقة عن أطوار حياته، فما جاء من سيرته كان مجرد استيقاء من ترجمتين هما :ترجمته التي جادت بها صفحات الجزء الأول من كتاب إتحاف أهل الزمان ،و الثانية الترجمة الموجودة في الرائد التونسي .

1- مولده ونشأته :

هو الوزير الكاتب العالم ابو العباس أحمد ابن الحاج بالضياف بن عمر بن احمد بن نصر بن محمد ابن المجدوب الولي ابي العباس سيدي احمد الباهي العوني[1]،لقد ولد أحمد بن أبي الضياف سنة 1804 م (1214 ه)[2]،يعود أصله الى قبيلة أولاد عون[3]،أين نشأ بين يدي والده[4] الذي صرف كامل عنايته لتربيته وتعليمه .[5]وقد كانت عائلته تتمتع بحظوة لكونها تنتسب الى قبيلة فخورة بأصولها العربية وعصبتها المنيعة ،مما جعل لها مكانة بين العروش المجاورة لها ، بالإضافة لكون عائلته تنتسب الى ولي

---

[1]-أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك نولس وعهد الأمان، مج 1، ج 1، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، ط2، تونس، 2004م، صVii

[2]- نفسه ،مج1،ج1،صVii

[3]- -قبيلة أولاد عون: هي إحدى القبائل التونسية بمنطقة سليانة، تنصل من جهة القبلة بارض السرج من عمل جلاص، ومن جهة الجوف بعمل تبرسق، وشرقا قبيلة أولاد يحي، وغربا قبيلة أولاد عبار, أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج 1، ج 1، ص VII, بنظر كذلك: رسائل أحمد بن أبي الضياف السورية إلى محمود بن عياد 1850- 1853م، دراسة وتحقيق: يونس وصيفي، مطبعة الشرق، ط1، تونس، 2005م، ص 12.

[4] - الشيخ محمد النيفر، عيون الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب، ج2، ط1، تونس، 1351هـ ، ص 130 .

[5]- حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، مج2، القسم 1، مرا : محمد العروسي المطوي، بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1425 م 2005م، ص559.

من أولياء الله الصالحين ، وهو سيدي أحمد الباهي .فكانت لهم بذلك المرتبة العليا ، لبركته الخارقة والمتوارثة أبا عن جد في منطقتهم المعهود عنها التعلق بالتقاليد العريقة [1] .

كما أن منشأه كان وسط البذاخة والرفاهية ، وذلك يعود لكون والده يشتغل بالكتابة [2].ويقول محمد السنوني في ترجمته : " فقد نشأ فيها نشأة صالحة ، وكانت تجارة والده به تجارة رابحة ، فإن والده على ما كان عليه من بذاخة الشأن ورفاهية الحال " [3]، الا أن هده العائلة إمتحنت سنة 1815م،حيث كان أحمد بن ابي الضياف في سن الثالثة أو الرابعة عشر من عمره ،ودلك يعود لكون والده سجن وإفتكت أرزاقه بعد وفاة الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وهذا ما جعل العائلة تنتقل من بيتهم الى بيت جدهم لأمهم للتكفل بهم ،الى أن أطلق سراحه وعاد الى منصبه .

أما عن وصفه فهو آدم مشوب ببعض الحمرة ،أحجب بغلظ ، ضيق البلج ، أشم بارتفاع ،أدعج العينين ،كثيف الدقن والعارضين ، غلب شيبة ،ربع القامة مع بعض انحناء زاده في خطاه جمالا ، لا تراه الا مبتسما ،تزدحم الألفاظ في ثغره حسن المحاضرة ، حلو الدعابة ، عزيز النفس ، كريم الأخلاق ، يتمتع بالعفة والوقار والهمة العالية ، كما كان شديد الكلمة ، يتمتع بالعفة والوقار والهمة العالية ، كما كان شديد الكلمة [4]

تعليمه و شيوخه:

إن كل الآباء تعمل سعيا لضمان مستقبل أبناءها ، وهدا ما دفع الحاج بالضياف لتشجيع ابنه للتفرغ للعلم وتغيير الإتجاه العائلي من العمل المخزني المحفوف بالمخاطر، الى المناصب العلمية المحترمة وذلك لضمان الإستقرار و الوجاهة العلمية ، لأن الحاج بالضياف اضطرته الظروف الحياتية الى الإنقطاع عن الدروس وذلك

[1]- الصادق الزمرلي، أعلام تونسيون، تق وتع: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1986م، ص 71.

[2]- أحمد بن أبي الضياف،المصدر نفسه ، مج1،ج1،ص د.

[3]- محمد السنوسي، ذبل أقدم ترجمة لابن أبي الضياف، مجمع الدواوين التونسية، حوليات الجامعة التونسية،ص114.

[4]-- أحمد بن أبي الضياف،نفسه،مج1،ج1،صxIII.

لغاية التكسب [1]، بحيث أنه " لم يكن في العلم ذا بضاعة سوى أنه حسن الحظ "[2] .

التحق ابن الضياف بكتاب سيدي ابن عروس لتعلم مبادئ القراءة وحفظ القرآن الكريم مند بلوغه سن الخامسة ،فكان تعلمه بالمرحلة الإبتدائية بزاوية ابن ملوكة خارج باب القرجاني[3]،ولقوة ذاكرته واجتهاده وإتزانه أستطاع تجاوز هذه المرحلة بسرعة . كما إستهل دراسته للعلوم العقلية والنقلية على أيدي نخبة من مدرسي جامع الزيتونة البارزين في تلك الفترة[4]،كما تابع دروسه بجامع صاحب الطابع ، وقد تميز بالإجتهاد والنجابة ، وبرز بين خلانه في الحفظ وسعة الإطلاع ، بالإضافة لنبوغه في الأدب[5] .يقول صاحب عيون الأريب : "ودأب في تحصيله عن نحاريره ،وكان له دهن وقاد ، ونفس أبية الى المعالي تنقاد ، فحصل على باع مديد ، وبصر في العلوم حديد "، خاصة في مجال علم الأدب ، فيقال أنه يحفظ الريحانة للابن الخطيب السلماني [6]، وبراعته في الإنشاء ، حيث ذكر محمد السنونيبقوله : " إمام أئمة كتبة الإنشاء ، والعالم الذي حبر الطروس بالذخائر ووشا ،والمجلي في حلبة البلاغة على كل أديب " [7].

حاول أبن أبي الضياف تكوين نفسه استثنائيا من خلال ما استفاده من تجربته السياسية ، بالإضافة الى سفره الى الأستانة وباريس ، وكان التأثر بمن إتصل بهم من مثقفي عصره (القرن 19) الدين كان لقاؤه بهم في تونس أو خارجها ، بالإضافة لحرصه الامتناهي على اقتناء الكتب وذلك لإثراء معرفته ،

لقد كان تكوين ابن أبي الضياف حصادا لما تعلم طيلة حياته ، فقد صدق صاحب شجرة النور الزكية بقوله : " فلك الأدب وقطبه ، وروح جسد

---

[1]- أحمد بن أبي الضياف،المصدرالسابق، مج1،ج1،ص د.

[2]-نفسه ،مج1،ج8، ص 38.

[3]-باب القرجاني:وهو أحد الأبواب العتيقة ، يقع في الجنوب الشرقي من نابل ،وبالقرب منه زاوية يزار فيها أبو الشيخ محمد بن ملوكة . ينظر :أحمد بن أبي الضياف ، المصدرنفسه ، مج،ج7،ص139،103،ج8،ص 109.

[4]-الصادق الزمرلي ،المرجع السابق، ص 72.

[5]- محمد محفوظ،تراجم المؤلفين التونسيين ،ج3، دار الغرب الإسلامي ، ط1،بيروت ،لبنان ،10ه/198م،ص26.

[6]-محمد النيفر ،المصدر السابق ،ج2،ص130.

[7]-محمد السنوسي،المصدر السابق،ص114.

البيان وقلبه ، وبحر البلاغة الفائض عبابه ،وغيث البراعة المستمر أنكابه "[1].

تلقى أبن أبي الضياف معرفته العلمية عن طريق كوكبة من الشيوخ والعلماء ، حيث عمد لترجمة أغلبهم في كتابه ، وهم :

- **ابن الخوجة (ت. عام 1241ه/ 1826م):**هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الخوجة، من شيوخ تونس وعلمائها"[2]، وقد نشأ في طلب العلم، وتصدر للتدريس، كما تدرج في الولايات العلمية كجامع محمد الباي المرادي المرادي والمدرسة الشماعية، بالإضافة لتقدمه لخطة القضاء بالمذهب الحنفي، وبعده لخطة الفتوى. وقد قرأ ابن أبي أبي الضياف عليه تذكرة القرطبي في الحديث[3].

- **إسماعيل التميمي (ت. عام 1248ه 1832م):** هو أبو الفداء إسماعيل التميمي. حفظ القرآن منذ صغره، ثم هاجر إلى تونس. وقد حصل العلوم بسرعة، وتصدر للتدريس بالجامع الأعظم، كما جلس للتوثيق، بالإضافة لتوليه خطة القضاء بالحاضرة عام 1221ه 1806م، وبعدها نقل لخطة الفتوى عام 1231ه/1816م، وأعيد في نفس السنة الخطة القضاء. وبعد إطلاق سراحه، أعيد لخطة الفتوى عام 1824م، وصار رئيسا للفتوى عام 1243ه 1828م، بالإضافة لكونه كان يستفتي من حاضرة العلم فاس، وقسنطينة، والجزائر وطرابلس. وقد قرأ عليه ابن أبي الضياف الزرقاني على المختصر[4].

- **محمد البحري (ت. عام 1254ه 1838م:**وهو العلامة أبو عبد الله محمد البحري بن عبد الستار . نشأ بين يدي أبيه، وأخذ عنه وعن غيره مبادئ العلوم، وقد تدرج في المناصب، فتصدر للتدريس بجامع قرب

---

[1]-محمد بن محمد مخلوف ،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة ، مصر،1349هـ ، ص 394 .

[2]- عمر رضا كحالة،معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) ،ج1،مؤسسة الرسالة ،ص 263.

[3]- أحمد بن أبي الضياف ، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص VIII.

[4]- .نفسه، مج 1، ج 1، ص VIII الزرقاني على المختصر: ويقصد به شرح الزرقاني على مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي، للمؤلف عباد الباقي بن يوسف بن أحمد بن محمد الزرقاني المصري، تح: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، ط1، 2002م، مج8.

داره، وكذا خطة القضاء، كما تقدم للخطبة بجامع أبي محمد الحفصي[1]، وبعدها تولى خطة القضاء بالحاضرة[2]. وقد قرأ عليه ابن أبي الضياف الفقه المالكي[3].

- **ـ محمد بيرم الثالث (ت. عام 1259ه / 1843م):** وهو شيخ الإسلام الحنفي، وثالث البيارمة"[4]. ولد في 27 ربيع الأول عام 1201ه. وكان منشؤه في طلب العلم، وتصدر للتدريس وكان متمكنا في علمي المعاني والبيان والمنطق، بالإضافة لإتقانه طريقة الإلقاء التي سنها إبراهيم الرياحي. ومن وظائفه توليه الخطابة بجامع يوسف صاحب الطابع، وكان أول خطيب به. وتقدم للفتوى في حياة والده"[5]، وبوفاته عام 1247ه، حل محله في رئاسة رئاسة المجلس الشرعي الحنفي وخطة نقابة الأشراف، وقد قرأ عليه ابن أبي الضياف مختصر السعد على التلخيص[6].

- **إبراهيم الرياحي (ت. عام 1266ه 1850م):** هو إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد بن إبراهيم، أصله من طرابلس، رباحي الدار، وقد ولد بيستور وبعدها قدم التونس[7]. يعرف بأبي إسحاق، حفظ القرآن ببلده، وقد كانت كانت همته عالية لطلب العلم، حيث قيل فيه: "نحن ننتفع به أكثر مما ينتفع هو بنا".

- وقد أخذ من جامع الزيتونة عن أعلام عصره كصالح الكواش وحسن الشريف، بالإضافة لأخذه الأصول عن إسماعيل التميمي والبيان والمنطق والنحو، بالإضافة لأخذه التصوف. وبعد إتمام تعلمه، انكب مدرسا بجامع الزيتونة، وخلف شيخه محمد الفاسي في تدريس تفسير

---

[1] -جامع أبو محمد الحفصي وهو جامع موجود في تونس، صار محمد السنوسي إماما فيه بعد الشيخ إسماعيل التميمي، محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الظريف بحسن التعريف، ج 1، تح وتع: محمد الشاذلي الليفر، دار بوسلامة، تونس، 1983م، ص 302.

[2]- أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج 4، ج8، ص 35، 36.

[3]- -نفسه، مج 1، ج 1، ص .Vill.

[4]- محمد السنوسي، المصدرالسابق ، ص 116.

[5]- محمد النيفر، المصدر السابق، ج 2، ص 88.

[6]- محمد محفوظ ، المرجع السابق، ج 1، ص 182، ينظر كذلك : أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج4، ج8، ص 54 55.
مختصر السعد على التلخيص؛ يوجد نسخة منه في خزانة الشيخ العلاهر بن عاشور. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ج 7، دار العلم للملايين، 15، بيروت، لبنان، 2002م، ص 74.

[7]-خليل مروم بك،أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع ،لجنة التراث العربي،ط1،بيروت ،لبنان،1971م،ص 261.

البيضاوي وصحيح البخاري في جامع صاحب الطابع. ومن الذين تخرجوا على يده: أحمد بن أبي الضياف، وقد برع في النظم والشعر. ويقول في ذلك صاحب الحلية : "قلله ما أبدع بيانه، وأرفع قدره في الأنام وشأنه، وأعذب نظامه ونشره، وأطرب سجعه وشعره". وقد عزم على الهجرة لضيق في المعيشة، لكن الوزير أبا المحاسن يوسف صاحب الطابع وضعه في خطة التوثيق. كما اختاره الباي حمودة باشا سفيرا للمملكة المغربية عام 1218م لجلب الميرة، كما تولى وظيفة رئاسة أهل الشورى من المفتين على عهد الباشا حسين باي، وشغل العديد من المناصب الأخرى. وقد أخذ عنه ابن أبي الضياف السعد والمكودي[1] على ألفية ابن مالك".

محمد بن الخوجة (ت. عام 1279ه 1862م): وهو أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس حميدة بن الخوجة. اعتني والده بتربيته وتوجيهه، وطلب العلم بجامع الزيتونة، فأخذ عنه وعن غيره من شيوخ الإسلام في تلك الفترة. وبعد استكمال تحصيله، انتصب لمباشرة النظارة والتدريس بجامع الزيتونة عند تأسيس قانون دراسة العلوم به في سنة 1258ه 1842م[2].ثم ولي قضاء المذهب الحنفي، ثم ثقل إلى خطة الفتوى وبعدها ترأسها. وقد أخذ عنه ابن أبي الضياف المكودي، والقطر لابن هشام .

-أحمد الأبي (ت. عام 1274ه 1858م): هو أبو العباس أحمد بن الشيخ الفقيه أبي الثناء محمود الأبي الحنفي. ولد عام 1180ه/ 1766م، وقد أخذ مبادئ العلوم، وبعدها ألزمه شيخه صالح الكواش على التدريس عندما أخذ راية التحصيل باليمين، وكذا تصدره بالجامع الأعظم. وانتخبه الوزير أبو المحاسن يوسفصاحب الطابع إلى إمامة جامعة والتدريس به. كما قدمه المشير أحمد باي مفتيا، فجلس حذو الرئيس ولم يتصدر للفتوى ، وأخذ ابن أبي الضياف عنه الأشموني[3].

---

[1]- المكودي :وهو كتاب تناول مواضيع الصرف والنحو.ينظر: أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن صالح المكودي ،شرح المكودي في الألفية في علمي الصرف والنحو،ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية،ط1،بيروت ،لبنان،ص 25،12 .

[2]-محمد بن الخوجة ،تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد،تح وتق: الجيلاني بن الحاج يحيى، حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي،ط2،بيروت ،لبنان،1985م،ص 100.

[3]- أحمد بن أبي الضياف ،المصدر السابق،مج1،ج1،صvIIIKالأشمولي: وهو كتاب تناولت مواضيعه قواعد اللغة، وقد علق محمد النيفر 1807/ (1860م) على شرح الأموي، ينظر: الأشموني، شرح الأشموني على الفية بن مالك المسمى " منهج السالك إلى ألفية بن مالك"، ج1،

-محمد بن ملوكة (ت. عام 1276ه 1860م): هو أبو عبد الله محمد ابن الولي أبي الفلاح صالح بن ملوكة. نشأ في كنف والده أين حفظ القرآن الكريم، وحصل العلوم على أيدي العديد من العلماء. وتصدر للتدريس، ثم اختار تعليم القرآن بأسلوب لم يعهد به من قبل، بالإضافة لعدم انقطاعه عن التدريس بجامع الزيتونة وغيره من المساجد. وخوطب للقضاء والفتوى والإمامة بالجامع فامتنع. ويقول ابن أبي الضياف: "وكنت من تلاميذه الساكنين بزاويته، وشاهدت من حسن أخلاقه وعبادته ما يستوقف القلم". وقد قرأ عنه ابن أبي الضياف الضياف الدرة في الحساب[1].

-محمد بن سليمان المناعي (ت. عام 1247ه 32_1831م): وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن سليمان المناعي. نشأ بقبيلة أولاد مناع من دريد، ثم ارتحل إلى مدينة تونس لطلب العلم، وأخذ عن أعلام الزيتونة في عصره، كما رحل في طلب الفقه إلى فاس. ولما امتلئ بالعلم حوضه، درس بالجامع الأعظم، وباشر خطة التوثيق، وأولاه الوزير يوسف صاحب الطابع خطة الإشهاد، فخطة الكتابة . وقد أخذ عنه ابن أبي الضياف الزرقاني على المختصر.

-عبد الرحمان الكامل (ت. عام 1249ه 1833م):هو الشيخ أبو زيد عبد الرحمان الكامل. أصله من أولاد سيدي حمادة من زوايا أولاد عون، وقد أخذ عن علمائها، ومن وظائفه تصدره للتدريس. كما انتخبه الباي حمودة باشا لقلم الإنشاء، وقد انتظم في سلك الكتابة فترة قصيرة على كره ثم استعفى. كما درس بالجامع الأعظم ويمدرسة باردو ، وقد قرأ عنه ابن أبي الضياف شيئا قليلا من الفقه المالكي

تح: محمد محي الدين عياد الحميد، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 19551375م، ص 46،63, عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج 3، ص 91.

[1]- - نفسه، مج 1، ج 1، ص VI|| الدرة في الحساب: هي منظومة تسمى "الدرة البيضاء" في علم الفرائض على المذهب المالكي للشيخ العلامة الفقيه عبد الرحمان بن محمد الصغير الأخضري البطبوسي (918- 1512 / 1983 -1575م) وهو ينقسم إلى قسمين، الأول منه في الحساب ويقع في 130 بيتا، أما الثاني فيتعلق بالفرائض فقها وعملا، ويقع في 4660 بيتا, بحث الأستاذ عاشوري قمعون.

كما قرأ على السيد البشير الزواوي تفسير ابن فرس[1]، وأتمه قراءة له، وكان في بعض الأحيان ما كان يأمره بإعادة بعض العبارات ليتأمل في معناها، ويدعو له بالفتح والتحصيل، "وما كان لسواهم عليه فضلا، ولا سمع من غيرهم تنبيها ولا قولا". وقد كان يحتل عندهم محبة. كما يعدونه من نوادر الدهر في الحفظ وثقوب الفكر[2].

3- وضائف ابن أبي الضياف ووفاته وآثاره :

بدأ ابن أبي الضياف حياته المهنية في غرة شوال 1237ه 21 جوان 1822م[3]، حيث أولاة الأمير حسين باي الثاني خطة العدالة [4]وعمره لا يتجاوز الثماني عشرة سنة[5]. كما كانت تعرف بخطة الإشهاد العام أو أو التوثيق. ونظرا لامتياز ابن أبي الضياف، اجتاز هذه المرحلة، حيث كان من المتوقع أن يدخل الميدان العلمي [6]، إلا أن الأمير حسين أولاه خطة الكتابة[7]، وكان ذلك على كره من والده، بالرغم من المعارضة الصريحة التي أبداها كون ابنه صغير السن وضعيف البضاعة، حيث أصبح وزير القلم بالحكومة التونسية [8]في أوائل شوال 1242ه- أواخر أفريل1827م[9]. وفي ذلك يقول محمد السنوسي: "وطالما استعان به أعيان الكتابة فيذلك الأوان، وألقوا إليه مقاليد المهمات الواردة من كل مكان، إلى أن ارتقى بنفسه دست الكتابة"[10]، وقد خصه بكتابة سره وضمه إلى وزيره محمد شاكير صاحب الطابع، حيث كان نابغة هاته الدولة ومصقعها الذي "إذا

---

[1]- تفسير ابن فرس: هو من الكتب الذي تؤخذ منه مسائل الفقه عامة، والمالكي خاصة بالأدلة من الكتاب والسنة. ينظر: البندري بنت عبد الرحمان الهويمل، منهج ابن الفرس في ترجيحاته في التفسير من خلال كتابه أحكام القرآن، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن مسعود ، السعودية، 1431ه، ص 3,

[2]- أحمد بن أبي الضياف ،المصدر نفسه،مج1،ج1،صxI.

[3]-أحمد بن أبي ضياف المصدر السابق،مج1،ج1،ص ز.

[4]-- حسن حسيني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، تق وتح: حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس، 2010م، ص 147 .

[5]-- محمد محفوظ، المرجع السابق، ج 3، ص 264.

[6]- أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج 1، ص ح .

[7]- محمد النيفر، المصدر السابق، ج 2، ص 130.

[8]- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مج 1، ج 1، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،لبنان،1951م، ص 190.

[9]-- محمد محفوظ، المرجع نفسه، ج 3، ص 264.

[10]- محمد السنوسي،مصدر سابق ،ص 116.

نطق أعجز، أطنب في الكلام أو أوجز". وقد كان أول من كتب بالقلم العربي للدولة العثمانية العلية[1].

وقد تمكن ابن أبي الضياف من تحقيق نجاح كبير في مهمته، حيث أصبح يباشر في تحرير أهم المراسلات الرسمية والمناشير وقوانين الدولة، فبعد توليه بخمسة أشهر مهمة الكتابة، حرر في سبتمبر عام 1827م منشور الإصلاح الجبائي، بالإضافة لتحريره منشور الباي حسين السكان قسنطينة سنة 1831م، موضحا طلبه في ضم قسنطينة لتونس حقنا لدماء المسلمين، والنجاة من بطش الاحتلال الفرنسية، بالإضافة لاطلاعه بمهمات دبلوماسية لدى الباب العالي[2].

كما كان على عهد الباي مصطفى من أعضائه وخاصته، فقد طلب منه سنة 1836م توضيح حكم الشرع من "الفرقة" في خضم رفض الإيالة طلب الدولة العثمانية الناص على فرض أداء سنوي، حيث أجابه ابن أبي الضياف: "إن المتسبب في الفرقة هو من يحارب أمة تقر لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة (...) ورضا الأمة هو الأصل الديني في الإمارة".[3]

وعلى عهد أحمد باي، دعمت مكانته، فبعد أن عرف ما لأحمد بن أبي الضياف من خصال، أمده بقلم دولته، بالإضافة إلى تقليده أعلى المراتب، ومنحه نيشان الافتخار في 13 من أشرف الربيعين عام 1257ه/ 1841م، وبعدها منحه الإشراف المباشر على شؤون الكتابة، ثم رقاه في المناصب حتى منحه تسمية أمير لواء، كما قلده نيشان الافتخار من الصنف الأكبر عام 1265ه/ 1849م.

كما أنه، وعلى عهد المشير الأول، كلفه بمهمة سياسية إلى أستانبول مصحوبا بالشيخ خير الدين كاهية ، وكان سفره في 08 محرم 1252ه 11 مارس 1842م، كما استصحبه معه إلى فرنسا، بالإضافة لكونه حظي من طرف المشير الأول برتبة دينية، إذ قدمه لرئاسة الفتوى بالمذهب المالكي

---

[1]- محمد النيفر، المصدر السابق، ج 2، ص 130.

[2]- خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك (المقدمة وتقاريظ المعاصرين تحليل النص وتحقيقه مع جداول وملحقات وفهارس للمنصف الشنوفي)،المؤسسة الوطنية للكتاب،ط2،الجزائر،1986م.ص232.

[3]- أحمد بن أبي الضياف نفسه مج2،ج3،ص204.

بعد وفاة شيخه إبراهيم الرياحي عام 1850م، إلا أنه فضل مصلحة قلمه السياسي.

واستمر على وظيفته الجليلة مع خلفه محمد باي الذي أولاه مهمة تحرير المكاتيب الهامة كإنشاء مكتوب عهد الأمانة، والدستور لعام 1861م[1]. وباعتلاء المشير الثالث محمد الصادق باي، رقاه لرتبة أمير أمراء، وفي ذلك يقول السنوسي "فرقاه في يوم العيد الأصغر من عام سبع وسبعين إلى رتبة أمير أمراء"، وسماه من أعضاء المجلس الأكبر سنة 1277ه 1860م، فكاهية بالمجلس الأكبر في أوائل جمادى الثانية عام 1279ه"[2]، وقد أبعد عن السلطة منذ الشهور الأخيرة من عام 1281ه 1864م وذلك كغيره من كبار الموظفين. وقد فقد حظوته، وذلك من جراء الدسائس المحاكة له. وبعد سنة 1284ه 1867م تلاشى نشاطه. وبعد حل مشكلته أصبح مستشارا أول بالقسم الثالث من الوزارة الكبرى في جمادى الأولى عام 1287ه/ جويلية - أوت 1870م، وفي نهاية المطاف منحه الصادق باي لقب وزير الإبقائه في الخدمة[3].

وبعد هاته الجهود المبذولة في خدمة أربعة ملوك مختلفين، وبلاد بأسرها دون مراعاة لظروفه الصحية . وبالرغم من رباطة جأشه، ورصانة طبعه إلا أن تقدم سنه من جهة، وتدهور صحته من جهة أخرى اضطرته للتخلي عن مهامه وتكريس ما تبقى من عمره للعبادة وإعداد تأليفه الشهير "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"[4]، وبذلك طلب بإلحاح من الباي إعفاءه من الخدمة وكتب رسالته له ضمنها قوله:

"إن الملوك إذا شابت عبيدهم*** في رقهم عتقوهم عتق أبرار".

فأعفاه الأمير، وأجرى عليه جراية مناسبة.

4- أما بالنسبة لوفاته وآثاره:

[1]- خير الدين التونسي،المصدر السابق ،ص 232.
[2]-محمد السنوسي ، المصدر السابق ص 117_118.
[3]- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج 1، صxينظر كذلك: محمد المناعي، رسالة المناعي إلى المشير الأول أحمد باي في الشكوى من أحمد ابن أبي الضياف وسائر أعدائه، تق وتح: أحمد الطويلي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1397دا 1977م، ص 46.
[4]- الصادق الزمرلي،المرجع السابق،ص75.

بقي ابن أبي الضياف محلا للاحترام من طرف أولي الأمر، إلى أن أخذته يد المنية يوم الثلاثاء 17 شعبان 1291ه/ 29 سبتمبر 1874م[1]، وقد حضر جنازته الوزير الأكبر خير الدين، بالإضافة لسائر الوزراء ورجال الدولة. كما أن الباي محمد الصادق زار بنفسه دار الفقيه لتقديم التعازي. وقد شيعت جنازته بالاحتفال اللائق بمقامه وفضائله، ودفن في تربة آبائه الكائنة في جوار جامع صاحب الطابع الوزير أبي المحاسن يوسف، وكان ذلك داخل الحاضرة. وقد خلف أبناء "أشرقت في أفقهم شمس التجابة، وانتظموا في سلك خطة الكتابة". وقد رثاه صاحب الخلاصة النقية أبو عبد الله محمد الباجي المسعودي .

أما فيما يتعلق بآثاره، فقد غد كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان إنتاج العمر، بالإضافة إلى أن ابن أبي الضياف ترك آثارا قيمة، حيث نشرت وأصبحت في متناول القراء نذكر أهمها:

-رسالة ابن أبي الضياف في المرأة (1856م)[2]: من تقديم وتحقيق المنصف الشنوفي في حوليات الجامعة التونسية، العدد الخامس لسنة 1968م، من الصفحة 49 إلى 112"، وهي تشمل إجابة العالم على ثلاثة وعشرين سؤالا طرحت من بعض علماء فرنسا، حيث تبين أن خير الدين تلقى هاته الأسئلة من طرف بعض الفرنسيين، وذلك خلال إقامته في باريس، مما جعله يطلب من ابن أبي الضياف الإجابة عنها. وقد كتبت حسب هاته المراسلة بخط يوسف جعيط، حفيد ابن أبي الضياف، وفي الحمامش بخط أحمد بن أبي الضياف لإصلاح بعض التحريف،

-رسائل ابن أبي الضياف إلى خير الدين التي حققت من طرف محمد صالح المزالي: وكان عددها ثلاثا وعشرين رسالة أثناء إقامة خير الدين في فرنسا (1857/1854م)، ورسالتين عندما كان خير الدين يقوم بمهمته بالأستانة (جانفي 1860 ديسمبر 1864م)، حيث أطلق عليها المحقق "تتمة لإتحاف أهل الزمان"،

[1]- محمد النيفر المصدر السابق ،ج2،ص 131.ينظر كذلك: حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر ...،مج2،ص 560.
[2]- خير الدين التونسي ،المصدر السابق ،ص 232.

وذلك لأهمية إثراءاتها للمعارف التاريخية بالرغم من قصر الفترة التي تناولتها. حيث روى ابن أبي الضياف كل مجريات الأحداث لخير الدين أثناء غيابه، وكل ما كان يجري في البلاط، وما طرأ من تغييرات على جهاز الإدارة، فعدت في الحقيقة هاته الرسائل عبارة عن "يوميات تاريخية"، ولعل أهمها إثراء في المراسلات، هي ما تعلق بوفاة أحمد باي وظروف انتقال السلطة إلى أخيه.

بالإضافة لبعض الأسئلة التي وجهها لمعالجة بعض القضايا المطروحة في عهد الإصلاحات الدستورية تدور حول انتخاب اليهود، وحكم شهادة الكافر عن المسلم، حيث حث فيها على معالجة القضايا اعتمادا على الاجتهاد

بالإضافة لذلك، كان له دواوين شعر لأنه كان شاعرا مطبوعا، ومن شعره مدحه لتونس في شوقه إليها وهو في الأستانة يقول فيه:

نسيم تونس حياني ويحبيني *** والطيب منه إذا ما تمت يهديني[1]

إلى جانب ذلك، وجدنا من خلال تصفح كتاب الإتحاف، مجموعة من القصائد كان قد أوردها الكاتب لأغراض متعددة، فهو يستشهد بالشعر إما لتدعيم فكرة أو استخلاص عبرة.

المبحث الثاني :دراسة كتاب إتحاف أهل الزمان .

1. نبذة عن كتاب الإتحاف وأسباب تأليفه:

يعتبر كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"[2]، كتابا هاما جدا، وذلك لثرائه بالوثائق، واحتوائه على معلومات وأخبار تجعله يتمتع برتبة خاصة. لا يشاركه فيها أي كتاب تاريخي آخر في تلك الفترة[1].

[1]-محمد النيفر ،المصدر السابق ،ج2،ص 131.ينظر كذلك : الهادي التيمومي، تونس والتحديث،(1831-1877م) أول دستور في العالم الإسلامي، دار محمد علي للنشر،تونس،2010م،ص 190.

[2]-هناك من يسميه "إتحاف أهل الزمان بأخبار عصر عهد الأمان في تاريخ تونس والقيروان". ويعلق عليه كذلك "إتحاف أهل الزمان بأخبار مصر عهد الأمان في تاريخ إفريقية لاسيما لتونس والقيروان". ينظر: إسماعيل باشا بن محمد بن مير سليم، إيضاح المكنون في الليل على

وقد كان اختيار ابن أبي الضياف لعنوان مؤلفه "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" اختيارا موفقا إلى أبعد الحدود، ذلك أن الكتاب يتمحور موضوعه حول قضية مركزية محددة، ألا وهي إبراز نتائج الحكم الاستبدادي المطلق، القائم على الرغبة الشخصية، ودعوته إلى إرساء نوع من الحكم المقيد بقواعد قانونية أو شرعية، لمنع الملوك من التصرف على هواهم[2] بالإضافة إلى أن ابن أبي الضياف أراد كتابة تاريخ البايات المعاصر لهم، وكان حريصا على تقديم هاته المراحل التاريخية في إطار دراسته التجربة الرائدة، أي عهد الأمان كما ورد ذلك في عنوان الكتاب.

وقد شرع ابن أبي الضياف في تأليف كتابه يوم 18 رجب 1278ه/ 19 جانفي 1862م، و أخاه سنة 1872م تاريخ آخر أخبار الإتحاف

أما فيما يتعلق بالباحث على تأليفه، فقد أشار إليه المؤلف حيث قال: "فحركتني رياح هذا الوطن إلى إطناب، ربما استحسن في مثل هذا الباب، مع أني لست من أولئك الرجال، ولا من فرسان هذا المجال، لاسيما والشيبة ولت، والقريحة كلت، والقوى ألقت ما فيها وتخلت، لكن وراء قصوري عين الرضا، وعادات الكرام من الإغضاء"[3].

وقد ألفه بعد ابتعاده التدريجي من البلاط على إثر انتفاضة عام 1864م، وكذا دعم محمد الصادق باي المصطفيخزندار[4]" وتنكره لرجال الإصلاح."

والكتاب الذي أنا بصدد دراسته هو عبارة عن أربعة مجلدات، مرتبة حسب تقسيم المؤلف إلى مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة. وهو من تحقيق

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج 1، دار إحياء العراث العربي، بيروت، لبنان، ص 16 ينظر كذلك: اسماعيل باشا البغدادي، المصدر السابق، مج 1، ج1، ص 190 .

[1]- رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس 1782- 1814م، رسالة دكتوراة في الفلسفة، الجامعة الأمريكية، بيروث، ص34.

[2]-على المحجوبي، ما يجب أن تعرف عن النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر(لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان)، سراس للنشر، تونس، 1999م، ص 109.

[3]- **أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق**، مج 1، ج 1، م ، ل، 4

[4]- لقد كانت السياسية على عهده تتميز بسيطرة الباي وانفراده بحكمه المطلق، حيث يفرض إرادته على شعبه مستعملا القوة في ذلك فعرفت فترته بفرض الضرائب المحقة على السكان. ينظر : علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 108.

لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، في الطبعة الثانية، من إصدار الدار العربية للكتاب، تونس، عام 2004م.

وقد قسم المجلد الأول إلى جزأين؛ حيث بدأ في الجزء الأول منه تقديم للدكتور عبد الباقي الهرماسي وزير الثقافة، ثم يليه "عودة إلى الإتحاف" وتندرج ضمنه عدة عناصر وهي: "من المخطوط إلى الكتاب"، "اين أبي الضياف من الوزارة إلى التاريخ"، و "أهم مرجع لتاريخ تونس الحديث"، لتليها "العلاقة الجدلية بين التاريخ والإصلاح" بقلم الدكتور خليفة الشاطر (المدير العام لدار الكتب الوطنية)، كما تضمنت "ترجمة ابن أبي الضياف في الرائد التونسي 04 أكتوبر 1874م"، وترجمته بقلم الشيخ محمد السنوسي في مجمع الدواوين التونسية، وبعدها ترجمة لابن أبي الضياف بمخطوط المكتبة العبدلية، مع ذكر لبعض المراجع المذكورة في الطبعة الأولى من الجزء الأول عام 1963م. ويليها التعريف بالكتاب واندرج تحته: "الكتاب ومحتوياته - ووصف المخطوطات المعتمد عليها في هاته الطبعة - وطريقة النشر والتحقيق.

كما عدد النسخ المخطوطة للإتحاف الموجودة بدار الكتب الوطنية بالإضافة للإشارة للرموز المستعملة في هذه الطبعة، مع إيراده 14 أنموذجا لصفحات من مسودات كتاب إتحاف أهل الزمان، يضاف إلى هذا خطية الكتاب، حيث أجاز فيها المؤلف أربع قضايا أساسية، وامتدت من الصفحة الأولى إلى الخامسة، وتناول فيها:

-أصالة العمل بالمقاصد ومراعاة المصالح في الشريعة الإسلامية .

- فوائد علم التاريخ.

-عدد بعض مؤرخي تونس[1] الذين اعتنوا بأخبارها وأخبار ملوكها.

- تحديد البنية الهيكلية للكتاب.

[1]-مورخي تونس: ومنهم ولي الدين بن خلدون، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، وأبو عبد الله محمد بن أبي الفضل الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي الدينار، والوزير السراج، وغيرهم . بنظر : أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 1، ص 3.

وانتقل بعدها لما غرف بالمقدمة، وهي تشتمل على عقدين، فكان له من العقد الأول مقدمة نظرية ، ومن العقد الثاني مقدمة تاريخية لغاية الاعتبار. حيث خصص ابن أبي الضياف عقدها الأول للملك وأصنافه في الوجود (من ص 06 إلى غاية ص 71)، مقسما الملك إلى أصناف ثلاثة هي: الملك المطلق، والملك الجمهوري والملك المقيد بقانون. كما ذل عرضه للعقد الأول بخاتمة في "ذكر شيء مما ورد في العدل والمشورة، وصفة الإمام العادل، وغير ذلك من تحسن به محاضرة الملوك" (من ص 72 إلى غاية ص 77).

أما العقد الثاني من المقدمة فقد لخص فيها " الإلمام بأمراء أفريقية وبيوت الملك بالقيروان والمهدية وتونس" (من ص 78 إلى غاية ص 101)، وبعدها "الخبر عن بيت الملك من بني الأغلب" (من ص 102 إلى غاية ص 119)، وتلاها " بالخبر عن بيت الملك بأف بقية من صنهاجة" (من ص 131 إلى غاية ص 145)، وبعدها "الخبر عن تونس ومن تداولها من الأمرا 27 / 136 اديس" (من ص 146 إلى غاية ص 151)، في الخبر عن بيت الملك من بني حفص" (من ص152- الى غاية ص 191).

ويليه الجزء الثاني من المجلد الأول: الذي تناول فيه "الفتح العثماني" (من ص 09 إلى غاية ص 34) وثناه ب"الخبر عن الدولة المرادية، وابتداء أمرها واستفحاله" (من ص 35 إلى غاية ص 84)، لينتقل بعدها إلى "الخبر عن بيت الملوك الحسينية بالمملكة التونسية" (من ص 85 إلى غاية ص 178).

أما فيما يخص المجلد الثاني فيضم الجزء الثالث والرابع، فالجزء الثالث وهو يضم خمسة أبواب من أصل الثمانية الذين قال فيهم ابن أبي الضياف: "الملوك بعددها لم تدون أخبارهم ولا قيدت آثارهم"[1]، فكان الباب الأول: " في أخبار الباي أبي حمودة باشا (1814 / 1782 م)"، وامتد الحديث عنه والأحداث الواقعة على عهده (من ص 11 إلى غاية ص 88)، والثاني في "دولة أبي النور عثمان باي (1814/ 1814م) "(من ص 91 إلى غاية ص 101)، وبعده "محمود باشا (1814 1824م)" (من ص 105 إلى غاية ص 149)، والباب الرابع خصه للحديث عن "حسين باشا (1824/

[1]- أحمد بن أبي الضياف،المصدر السابق ،مج1،ج1،ص .

1835م)" وامتد الحديث عن أخباره (من ص 153 إلى غاية ص 193)، والخامس في "دولة الباشا أبي النخبة مصطفى باي (1837

1835 /م)" وامتدت صفحاته (من ص 197 إلى غاية 228)، وقد تناول فيه العديد من الأحداث منها: الخبر عن الحرب بين الجزائر وتونس وأسبابها، والخبر عن ثورة الترك بحاضرة تونس، ومقتل الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع، وكذا الخبر عن ثورة جند الترك، ومقتل الوزير أبي عبد الله محمد العربي زروق خزندار، وكذلك حرب الفرنسيين للجزائر ومقتل الوزير شاكير صاحب الطابع.

أما الجزء الرابع، وهو يتكون من 268 صفحة، فقد افتتحه بالباب السادس في دولة المشير أبي العباس أحمد باي (1837/ 1855م)، وامتدت صفحاته (من ص 11 إلى غاية ص 182)، وقد تناول فيها: الإكثار من الجند، وإنشاء المدرسة الحربية بباردو، وتأسيس المكتبة الأحمدية، وترتيب التدريس بجامع الزيتونة، وعنق المماليك، والرحلة إلى فرنسا، والإعانة الحربية للدولة العثمانية.

والباب السابع في" دولة المشير الباشا أبي عبد الله محمد باي (1859 /1855م)" وامتد الحديث عن أحداث هائه الفترة (من ص 185 إلى غاية ص 228)، ومن أهم ما تناوله فيها: تنظيم المحاكم الشرعية ، و منشور الفلاحة، وقانون عهد الأمان، والتنة. م .. الأ...) ، وقد خص جزءامعتبرا للحديث عن عهد الأمان امتد من (ص 232 إلى غاية ص 268).

أما فيما يتعلق بالمجلد الثالث، والذي يتكون من الجزأين الخامس والسادس، فالجزء الخامس يتكون من203 صفحة ، وقد تضمن الباب الثامن "دولة المشير أبي عبد الله محمد الصادق باشا باي (1859 / 1882م)"، حيث تناول فيه (من ص 11 إلى ص 193)، العناصر التالية: أداء اليمين على احترام عهد الأمان، وإنشاء التلغراف[1]" بتونس، وإنشاء الطباعة، وصحيفة الرائد التونسي، وتكوين المجالس المنبثقة عن عهد

[1]-التلغراف: وهو مشتق من كلمتين في اللغة اليونانية هما : تيلى ومعناه بعيد، غرافي: ومعناه كتب، فيكون معني تلغراف الكتابة من بعيد، وقد كان ابتداء الانتفاع به في تونس أوائل دولة المشير محمد الصادق باي. محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، تق وتح: حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1986م، ص 158.

الأمان، واجتماع الباي بنابليون الثالث بالجزائر[1]، وعهد الأمان ومشكلة الامتيازات الأجنبية، وثورة علي بن غذاهم وأسبابها، وإيقاف العمل بعهد الأمان.

أما فيما يتعلق بالجزء السادس، فكان "تتمة للباب الثامن في دولة المشير أبي عبد الله محمد الصادق باشا باي"، وقد تكون من 142 صفحة. ومن أهم ما جاء فيه: سفارة خير الدين لدى الباب العالي، ولمحة تاريخية عن علاقة تونس بالدولة العثمانية، والتنكيل ببعض المشاركين في ثورة ابن غذاهم، والقبض على الثائر علي بن غذاهم وسجنه، وتفاقم عجز الميزان التونسي، وانتصاب الكومسيون المالي[2]."

والمجلد الرابع، عبارة عن خاتمة للمؤلف، إلا أنه نحتها من مادة تختلف في جوهرها عما ألفناه من المؤلفات الأخرى؛ ففي العادة بحد الحائمة إما تلخيصا أو استنتاجا لما جاء في الموضوع، أما عند ابن أبي الضياف فهي عبارة عن تراجم الأعلام، حيث يشمل قسمين: قسم التراجم الأول، والذي يمثل الجزء السابع، ويتكون من 167 صفحة ؛ وقسم التراجم الثاني، والذي يمثل الجزء الثامن، ويتكون من 185 صفحة.

وبذلك فقد توزعت تراجمه كالتالي:

-158ترجمة للسياسيين والعسكريين والموظفين والإداريين وأشباه الإداريين.

- 144ترجمة للعلماء من مدرسين وأدباء وأهل الخطط الشرعية.

- 39 ترجمة للأئمة الخطباء .

---

[1]- وكان ذلك عام 1277ه 1860م، حيث قام الباعي محمد الصادق بزيارته لما أتي إلى الجزائر، وذلك لإحكام علاقة المجاورة بين البلدين، فأحسن الإمبراطور نابليون الثالث استقباله، كما أخبره الباتي التونسي بالإصلاحات التي قام بها في تونس، وسلمه نسخة من عهد الأمان, خليل مروم بك، المرجع السابق، ص 272, ينظر كذلك: الطاهر عبدالله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830. 1956م، دار المعارف، ط2، سوسة، تونس، ص 21.

[2]- الكومسيون المالي: هي عبارة عن لجنة مختلطة، تم تشكيلها نظرا لتأزم الوضعية المالية للبلاد، حيث ترأسها الوزير خير الدين عام 1286ه. وهدفها هو حماية مالية الدولة من خطر الديون, محمد بن محمد مخلوف، التتمة...، ص 167, للاستزادة بنظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج3، ج 6، ص 118- 119.

-29 ترجمة المشائخ الطرق ومقدمي الزوايا .

- 26ترجمة للتجار وأمناء الأسواق وأعضاء المجالس التجارية.

- عدد من الصناع والفلاحين والأثرياء، والعدول المقرئين ومنظف جامع، وعالم موسيقى.

-عدد من التراجم لقياد وأعيان عروش.

وقد عمد المؤلف إلى أن يضع بعد كل جزء من هاته الأجزاء، فهرسا للموضوعات الخاصة بكل جزء منها. وقد تجلت قيمة هذا الكتاب من خلال هاته المعلومات المتقدمة الذكر، حيث ساهمت في إثراء ثقافة النخبة، كما تعمل على المساعدة لتقديم نظرة أكثر شمولية. إذ وضح ذلك ابن أبي الضياف في خطبة كتابه "ضرورة اهتمام لمؤرخ بتاريخ الملك والوزير والعالم والكاتب والبطل والكريم والنبيه[1].. ".

بالإضافة لجلاء قيمته من خلال عدم اقتصاره في ترجمته على طبقة معينة، فلم يقتصر على أعوان الباي والعلماء فحسب، بل ترجم لغيرهم من أمناء الصنائع، ورؤساء القبائل من أبناء البلاد كما يفعل غيره، حيث جاءت ترجمته في محلده الرابع كفسيفساء اجتماعية شاملة لمختلف مكونات المجتمع. إذ يقول ابن أبي الضياف: "والخائمة فيما تيسر لي علمه من تراجم بعض الأعيان المتأخرين من العلماء والوزراء والكتاب وغيرهم[2]."

2 .منهج ابن أبي الضياف في كتابه:

إن القارئ لكتاب" إتحاف أهل الزمان" يلمس اختلاف أسلوب ابن أبي الضياف مقارنة بمؤرخي البلاط، حيث تحتب أساليب المدح، بالإضافة لمحاولته قدر المستطاع توخي الموضوعية في سرده وتحليله وأحكامه، وفي ذلك قال عنه محمد شمام: "ألف كتابه للتاريخ الحق، فلم يتنازل

[1]- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 1، ص 2-3 2 .
[2]- أحمد عبد السلام، مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، تونس، 1986م، ص 165.

لتقديمه لأحد من الملوك ابتغاء الحظوة أو الجاه أو حطام الدنيا كما يصنع بعضهم، إذ هذا يتنافى مع منهج الصدق[1]."

بالإضافة إلى كون ابن أبي الضياف من خلال أسلوبه، نلمس اهتمامه بالمفاهيم المؤسسة للفكر الخلدوني للدولة، والعصبية والعمران مثل استشهاده بمقولة ابن خلدون في مقدمته: "فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران"، واعتماده عليه في العديد من الصفحات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر (ص 16، 19،46، 68، 102،103) من المجلد الأول للجزء الأول. كما اعتمد على معايير ابن خلدون الدراسة تاريخ بعض الدول، مثل حديثه عن نهاية وتقهقر الدولة الحفصية والدولة المرادية مع إبقاء حرصه في كتابته على بيان الشرعية للإصلاحات والدفاع عنها، ويبدو ذلك جليا من خلال بعض العبارات مثل: "حين كانت أقرب للقانون الشرعي"، "حين بعدت كل البعد عن خيال قانون الشرع[2]."

إلى جانب هذا، فقد تميز الإتحاف بعفوية أسلوبه ولغته، وفي سرده للأحداث، فقد كان يميل إلى تبسيط الغته، حيث استعمل المصطلحات المتداولة فيها، فعبر عنها بمعناها العامي التونسي، مثل سلم في الشيء، خلاص، مكاحل...، وكذا عبر عن كلمة "الفساد" بمعنى "الخروج عن الطاعة وعدم الانصياع إلى القوانين، وعبر بلفظ "النفاق" عن معنى التمرد والعصيان، واستبدل مصطلح "التجنيد" بمصطلح "التنزيل"، وذلك عن قصد منه إذ يقول ذلك في خطبة كتابه: "ملتزما بقدر الطاعة توضيح العبارة وتقريبها للإفهام بحسب اصطلاح التخاطب والأسماء والألقاب الجارية في عرف البلد."

وقد عمد ابن أبي الضياف للاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأبيات الشعرية للتدليل على صحة أقواله في بعض الأحيان. ففي أغلب المرات يورد استشهاده في المكان المناسب، ومثال ذلك عند حديثه عن الحكم المطلق ومعارضة الشرع له، كونه تصرف بالهوى في عباد الله وبلاده، فاستشهد ابن أبي الضياف في هذا المقام بقوله تعالى: "يا

[1]- أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج 1، ص أ.
[2]- نفسه،مج1،ج2،ص79.

داود إنا جعلناك خليفة في الأرض قام بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فضلك عن سبيل الله[1].

وعمد أيضا الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة، وذلك ملاحظ بكثرة في كتاب الإتحاف، ومثال ذلك في حديثه عن سياسة حمودة باشا في الجباية، استشهد بقوله صلى الله عليه وسلم: "انظر إلى من دونك ولا تنظر إلى من فوقك"، بالإضافة لكثرة الأبيات الشعرية بين طيات صفحات المجلدات الأربعة. وقد نجح ابن أبي الضياف في تسلسله لسرده للأحداث في أبوابه الثمانية، حيث عمد إلى التعريف بشخصية الملك، وبعدها سرد الأحداث التي وقعت على عهده ليختمها بخصاله وأخلاقه ووفاته، وسار على هذا المنوال في كل الأبواب.

كما وفق ابن أبي الضياف في جزئه الذي ترجم فيه لشخصيات من فئات مختلفة، بدء بالملوك وانتهاء بالنبهاء، حيث اتبع نظاما معينا يشبه هيكا القصة القصيرة لكل ترجمة من تراجمه، فيفتتحها بتمهيد يعرف فيه بأصل الشخصية وذكر نشأتها، ويثنيها بذكر عمل الشخصية وأخلاقها، ويختمها باستمرارية النقاوة الأخلاقية ثم الوفاة، بالإضافة لكونه اتبع في ترتيب تراجمه أسلوبا خطيا زمنيا تصاعديا، فكانت أول شخصية أحمد البرانسي المتوفي عام 1782م، وآخر شخصية هو حسن الشريف المتوفي عام 1872م.

كما انتهج طريقة شرح بعض المصطلحات التي رآها صعبة في الهامش مثل ارتمض، المكافحة، مزوار وتعريفه ببعض الشخصيات كصاحب الابتهاج أحمد بابا"، والأمير آلي كالي قارس، والأماكن مثل المحمدية.

كما لاحظنا غلبة المصطلحات الاقتصادية على كتابة الإتحاف، وهذا راجع لنظرية ابن أبي الضياف على قوة العلاقات وكثافتها وتنوعها بين الظاهرة الاقتصادية والهياكل الاجتماعية والسياسية، وتجلى ذلك في بعض المصطلحات مثل: الجند، والعسكر، والبدو، والحضر وكبار رجال الدولة

[1]- سورة (ص) الآية 26.

وتعلقها بالناحية الاقتصادية في نظره بأموال الإنتاج والعمل وظروف المعاش[1].

إلا أنه، وبالرغم من اضطلاعه بهاته المهمة الصعبة والدقيقة التي أداها بلباقة ونزاهة، إلا أنه عمد في بعض الأحيان على اختصار بعض الأحداث التاريخية، وإهمال بعض الوقائع أو ذكرها باقتضاب، في حين أنها تستحق ذكرا أكثر مما جاءت عليه، وذلك لما كان لها من انعكاس على مجرى الأحداث اللاحقة[2].

.3

المصادر التي إعتمد عليها ابن أبي الضياف في كتابه:

لقد تنوعت مصادر الإتحاف وذلك من فترة لأخرى، حيث جاء الإتحاف بأحداث تاريخية امتدت من الفتح الإسلامي إلى عهد الصادق باي، ومن أهم مصادره:

في العهد الوسيط: اعتمد ابن أبي الضياف للتعريف بهذا العهد على أهم مؤرخي كتب هاته الفترة ومتهم: تقي الدين المقريزي[3]، والزركشي[4]، والقاضي عياض[5] وابن خلدون[6]". كما استخدم شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد محمد مخلوف، وذلك في تعريفه بتاريخ وفاة الشيخ الصالح المعروف بالصقلي، وكذا في تعريفه للشيخ الرعيني[7]، وكذا وكذا ابن فرحون في الديباج والقاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان، وذلك في إشارة منه لتناولهما تعريف الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر

---

[1]-أحمد جدي،محنة النهضة ولغز التاريخ في الفكر العربي الحديث والمعاصر،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1،بيروت ، لبنان ،2005م ،ص 62.

[2]-الصادق الزمرلي،المرجع السابق ، ص76.

[3]-- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج1، تح: محمد زينهم، مديحة الشرفاوي ، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، مصر، 1998م، ص 125، 129.

[4]- أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بالزركشي، تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية، نح وتع: محمد ماضور المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966م، ص 129.

[5]- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج1، تح : أحمد بكر محمود، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان، ص 259، 326.

[6]- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 1، ص م.

[7] - محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور ...، ص 116، 436.

التميمي المازري"[1]، بالإضافة لاستناده في ذكر تاريخ وفاة الشيخ قويسم إلى كتاب عنوان الأريب[2]، وكذا البيان المغرب لابن عذارى في تعريفه محمد بن عبيد الله المهدي[3]، بالإضافة لخلاصة الخلاصة تاريخ تونس لحسن حسني عبد الوهاب في شرحه لطنبذة"[4].

أما فيما يخص بداية التاريخ الحديث، فقد اعتمد على الكتاب الباشي لحمودة عبد العزيز في جزئه الثاني، وذيل بشائر أهل الإيمان لفتوحات آل عثمان لحسن خوجة ، والمؤنس لأخبار إفريقية وتونس لابن أبي الدينار في جزئه الأول[5]، والحلل السندسية للوزير سراج في جزئه الأول والقسم الثاني من الجزء الثاني[6].

بالإضافة لذكره مصادر تلاشت أو بقيت غير معروفة، وبالرغم من أهمية هذا القسم التأليفي الذي اعتمد فيه على أمهات كتب تاريخ تونس، إلا أنه أعتبر بابا تمهيديا لتأريخ المؤلف، ابتداء من عهد حمودة باشا، حيث انطلق المؤرخ من شهود عيان حضروا للوقائع منهم[7]:

- **الحاج بالضياف[8]:** وهو والد المؤلف الذي كان يروي له بعض الأحداث، وهذا بحكم تنقله في الوظائف، حيث كان مع الوزير أبي

---

[1]- أحمد بن أبي الضباف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص 145 ينظر كذلك: برهان الدين ابراهيم بن فرحون، كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المدهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص135. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج 3، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 466.

[2]- محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص 7. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ومر: ج. م. كولان، . ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت ، لبنان، 1983م، ص 268.

[3]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ومر: ج. م. كولان، . ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت ، لبنان، 1983م، ص 268.

[4]- طبيذة: وهي المحمدية حاليا. ينظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج 1، ج 1، ص 106.

[5]- أبو عبد الله الشيخ محمد أبو القاسم الرعبني القيرواني المعروف بابن أبي الدينار، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، الدار التونسية، ط1، 1286هـ ، ص 216- 220. ينظر كذلك: أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج 1، ج 1، ص م.

[6]- أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1287ه، ص 309-315.ينظر كذلك :أحمد بن أبي الضياف ،المصدر نفسه ،مج1،ج1،ص م .

[7]- نفسه، مج4، ج8، ص 37- 38.

[8]- نفسه، مج4، ج8، ص 37- 38.

المحاسن يوسف صاحب الطابع، وبعدها ترقى ليصبح رئيسا للكتبة في بيت حزندار، و سفره مع الوزير إلى إسلامبول مع اختياره من طرف الباي أبي عبد الله حسين باشا واستكتابه على يد الوزير أبي عبد الله حسين خوجة، وبعده الوزير أبو محمد شاكير صاحب الطابع"[1]. ونجد إشارات الرواية الأحداث له من طرف أبيه من خلال قوله "وسمعت ذلك من والدي"، وذلك في إخباره بأحداث الخلاف بين الجزائر وتونس"[2]، وكذا في سرده للاجتماع الذي عقد لتسليم الباي عثمان الولاية لابنه، فيقول ابن أبي الضياف عن والده : "وحكى ذلك لكاتبه وصاحب سره الحاج بالضيافة، وكذا تداوله لعبارة " وسمعت من والدي"، بالإضافة الأخذه عن شهود العيان والحاضرين للأحداث مثلا: سليمان كاهية، وذلك لكونه كان ناشئا في خدمة الوزير أبي محمد حمودة باشا، ولازمه ملازمة الظل، مع تدرجه في الخدمة حتى صار آغا وحق باجه، وكذا كان كاهية سفر المحال، بالإضافة لكونه صهرا للباشا أبي الثناء محمود باي. كما كان لا ينعقد اجتماع دونه، ويستشار في المهمات. وقد أخذ عنه ابن أبي الضياف الذي يقول أنه حدثه عن الحرب بين الجزائر وتونس، حيث كان حاضر الموطن بقوله: "سمعت ذلك من والدي، ومن الوزير أبي الربيع سليمان كاهية الثاني"، بالإضافة لسماعه منه ومن إسماعيل التميمي أحداث ثورة جند الترك على الباي محمود باشا، فيقول في ذلك: " سمعت ذلك من الوزير سليمان كاهية وغيره ممن حضر الموطن، وسمعته أيضا من شيخنا أبي الفداء إسماعيل التميمي[3]."

أما مصدره الثالث فتمثل في كونه أصبح شاهد عيان بنفسه، وذلك منذ عهد الباي حسين، لكونه ترقى في المناصب، إذ منحه رئاسية ديوان الإنشاء عام 1242ه 1827م، وبالتالي أصبح يشاركه في أهم المداولات وكتابة الرسائل ، إذ كان يقول ابن أبي الضياف في نهاية منشوراته :" وكان من إنشاء العبد الفقير."

كما أنه توجد عبارات دالة على تواجده في مكان الحدث مثلا: ركبنا - سافرنا- أرسينا- وجدناه.

---

[1]- نفسه، مج2، ج 3، ص 41 .
[2]- نفسه، مج2، ج 3، ص 96.
[3]-نفسه ،مج2،ج4،ص120،19.

كما كان يستند على الوثائق وذلك من خلال روايته للأحداث، اعتمادا على الوثائق التي يحررها هو بنفسه، أو تقديمه للمراسلات الخاصة التي حضرها، فمثلا كتابته للنص الذي أرسل للدولة العثمانية لعدم دفع المعونة السنوية لأوضاعها المتردية"، بالإضافة لوصفه لرحلته إلى باريس التي صحبه فيها أحمد باشا باي عام1846م وقوله: "ولو تتبعنا الرحلة لكانت كتابا مستقلا، ضف إلى ذلك مشاركته في تحرير شرح قواعد عهد الأمان الذي نقله لنا، ويقول في ذلك: "وأمريني بإنشاء مكتوب عهد الأمان[1].

[1]- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص99.

الفصل الثاني

الحياة السياسية والإجتماعية لتونس خلال القرن 19

المبحث الأول:الأوضاع العامة خلال حكم الأسرة الحسينية الأولى والثانية (1837-1881)

المبحث الثاني : الأوضاع الإدارية

المبحث الثالث : الأوضاع الاجتماعية

1-طبقات المجتمع التونسي

2-الأحوال الصحية

3-العادات والتقاليد

الفصل الثاني: الأوضاع السياسية والإجتماعية لتونس خلال القرن 19م

سأتناول في هذا الفصل الحديث عن الأوضاع السياسية ومنها الإدارية والأوضاع الاجتماعية قبيل وخلال حكم الأسرة الحسينية الأولى والثانية إذن كيف كانت الأوضاع خلال هذا العقد من الحكم ؟.

المبحث الأول: الأوضاع العامة خلال حكم الأسرة الحسينية الأولى والثانية (1837-1881)

حكمت الأسرة الحسينية تونس على مرحلتين : الأولى من عام 1705-1837م والثانية :حكمت من سنة 1837-1881 م وقد تداول على هذا خلال هذه المدة الطويلة (12) بايا،هذا الحكم كان بداية لمرحلة مفصلية مهمة في تاريخ البلاد التونسية بعد عقود من الإضطرابات والحروب وبما أن موضوع الدراسة يتمحور حول القرن 19م ،فلابد من دراسة فترة حمودة باشا (1782م_1814م) الحافلة بالأحداث ، لكن قبل ذلك لا حرج في أن أنوه لبعض الأوضاع السياسية قبل القرن 19، التي سأبتدئها بإعتلاء حسين بن علي على كرسي العرش .

الأوضاع السياسية:

ما إن لبث حتى بدأت بينه و بين داي الجزائر صراعات حيث قدم الجزائريون في أربعين ألف مقاتل وخيموا بضواحي الحاضرة وكان الجيش التونسي لا يتجاوز 18 ألف ،فسعى الباي حسين عقد الصلح لكنه لم ينجح فدارت الحرب بين الطرفين وعاد الجزائريون إلى بلادهم خائبين [1].

بالرغم مما يتمتع به الباي من حسن السياسة إلا أنه لم ينجب أولادا فتبني ابن أخيه علي بن محمد بن علي التركي ووعده بولاية العرش، لكن فيما بعد أنجب ولدين من جارية جنوية وهما محمد وعلي وبذلك مال لابنيه

[1]- حسن حسني عبد الوهاب،خلاصة تاريخ تونس مختصر مدرسي يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور الى الزمان الحاضر ،ط3،دار الكتب العربية الشرقية ،تونس ،1373هـ ،ص 149.

الحقيقين ولم يوف بعهده لعلي واكتفى بتسميته الباشا[1] وأولى ابنه محمد باي السفر بالمحال، ولما استقر علي باشا بتونس وأصبح قليل التنقل وغص من تقدم ابن عمه عليه لهذا استوحش من عمه ثم قرر الفرار مع ابنه يونس إلى جبل وسلات في 20 فيفري 1728م[2] واستطاع جمع عدد من المناصرين له التي لم يكن النظام الحسيني يحسن معاملتها مثل جبل وسلات وأولاد عيار ومنافسوهم الذين انضموا إلى صفوف الباي حسين مثل قبائل جلاص وأولاد عون وبذلك بدأ الانشقاق في المجتمع التونسي[3] وبعد اعتصام علي باشا بالجبل وفي أفريل 1728مأمر حسين باي جنوده بالهجوم على جبل وسلات فانهزم أهله[4].

فبعد انتزام علي باي انتقل إلى الجزائر ومكث فيها سبع سنين، فيذكر محمد الصالح بن العنتري أن علي باشا استغاث بصاحب الجزائر فقبل وجهز له عساكر وبعث معه الباي بو كمية وتوجهوا إلى تونس [5]بعد أن أقنع داي الجزائر بالهجوم على تونس، علما أن الداي كان يرفض مجرد الحديث عن التعدي على تونس لانشغاله بتحرير وهران مستغلا توقف باي تونس عن دفع الإتاوات لحاكم الجزائر[6] وفي4 سبتمبر 1735م خرج الجزائريون من محلهم ليلا وخرج حسين بالحيل والتحم القتال بين الطرفين[7] بعد أن أنشأ حسين بن علي قوة عسكرية بأسلوب حديث [8].
ويذكر محمود مقديش أن النصر كان للعساكر الجزائريين الذين نزلوا

---

[1]-بن جراد بلقاسم بن محمد ،فابس عبر التاريخ ،تونس 1999،ص 101.
[2]- أحمد بن أبي الضياف،ج2،مصدر سابق،ص ص 132-133.
[3]-حصام صورية،"لجوءبايات إيالة تونس الى الجزائرخلال القرن الثامن عشر من خلال وثائق أرشيفية،" المجلة الجزائرية للمخطوطات،ع12،جانفي 2015،ص 17.
[4]- أحمد بن أبي الضياف،ج2،مصدر سابق،ص135،كذلك أنظر:إبراهيمالسعداوي،"المخزن والمجال الجبلي التونسي بين 1630ونهاية القرن 18م"،تونس،دس،ص ص 50_51.
[5]-محمد الصالح بن العنتري ،فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها تاريخ قسنطينة،مراجعة وتقديم وتعليق :يحيى بوعزيز،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2009،ص54.
[6]- احصام صورية، لجوء...، مرجع سابق، ص178 .
شمس الدين نحم زين العابدين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط1، دار المسيرة، عمان، 2011، ص139.
[7]- أحمد ابن أبي الضياف، ج2، مصدر سابق، ص193.
[8]- مفيد الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي العصر العثماني 1516-1916م، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، 2009، ص151 محمود مقديش، مصدر سابق، ص 159.

بسمنجة فلم يتمكن أهل تونس من الدفاع عن أنفسهم فخرج حسين باي ونزل بالقيروان[1]، فكانت هذه الحرب الأهلية سببا في انتشار الحقد المدمر فانقسمت البلاد إلى حسينية لمن يناصر حسين بن علي وباشية لمن يؤيد علي باشا، فتدخلت الدولتان الجارتان الجزائر وطرابلس بحكم تبعيتها للإمبراطورية التركية[2]، ه فانتهى الصراع بانتصار علي باشا الذي حكم الذي تقلد شعار الولاية مكان عمه، أما حسين بن علي فقد نجا مع أبنائه إلى القيروان وتوالت حرب ثانية بينهما [3]بعد أن استعان علي باشا بالجزائر وحاصر عمه بالقيروان طيلة خمس سنوات تردت فيها البلاد التونسية في حرب أهلية فكان النصر حليف علي باشا وابنه يونس واتزم حسين بن علي وقطع رأسه في شهر ماي 1740م[4].

وبعد مقتل حسين باي استولى ابن أخيه علي باشا على الحكم وولى ابنه يونس على قادة الجيش أما بالنسبة الأولاد حسين باي فهربوا إلى الجزائر فاستنجدوا بصاحبها ولكن باي قسنطينة كان مواليا لعلى باي فلم ينجحوا بمهمتهم[5] وظل علي باشا يحكم البلاد التونسية بصرامة ويصدر الأحكام السريعة التي كانت في كثير من الأحيان دموية خاصة عند ممارسته لسياسة المشتري فابحر عن ذلك ثورات كانتفاضة عسكر الانكشارية في 1743م وسنة 1752م وانتفاضة قبيلة همامة 1750م[6]، ومنح علي باشا للجزائر جزية سنوية مقابل مساعدتها له في حربه على شكل كمية من الزيت[7].

أما بالنسبة لسياسة علي باشا الخارجية فهي لا تقل حدة عن سياسته الداخلية، فقد عرفت علاقاته مع الدول الأوروبية توترا شديدا، خاصة مع فرنسا حيث شهدت العلاقات الفرنسية توترا لما حاولت الشركة الفرنسية الحلول محل الجنويين في مرسى طبرقة المخصص لصيد المرجان وأخذه

---

[1]- محمود مقديش، مصدر سابق، ص 159.
[2]- بلقاسم بن محمد بن جراد ، مرجع سابق، ص 101.
[3]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، ص150.
[4]- محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 84.
[5]- عبد المجيد القصاب، رحلة الى تونس عتبة السلام، د ط، دم، دس، ص ص 197-198.
[6]- محمد الهادي الشريف ، مرجع سابق، ص 86.
[7]- شمس الدين نحم زين العابدين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط1، دار المسيرة، عمان، 2011، ص139.

بعد أن تجاوزوا المساحة المخصصة، ما أدى في النهاية إلى تشريد الباي للجنويين من المرسى لهم ثم التف إلى قرية تامكرت والتي كان بما مراكز تجارية لبعض الشركات الفرنسية فخرما، فحصلت بذلك عداوة بين قنصل فرنسا وعلي باشا آلت إلى قطع العلاقات السياسية بين الحكومتين[1] ، فيذكر صاحب الإتحاف أن الباي جهز أربعة مراكب حربية مشحونة بالعسكر وأمرهم أن يأخذوا مرساها والقرية إلى أن يقدم لهم ابنه يونس باي فدخلوها والتقط أهلها المرجان في ظل الأمان، ولما وافاهم يونس نزل بقصبتها وتعلل على أهلها واستولى على القرية وأخذ أهلها أسرى إلى الحاضرة وهم تسعمائة نسمة[2]. ويضيف ياسين صنديد نقلا عن حمودة بن عبد العزيز أن نجاح الحملة يرجع إلى قوة علي باشا البرية والبحرية فذكر في هذا الصدد:" فسمعت به نصارى طبرقة وبقدومه فعلموا أن قريتهم قد تملكت و نفوسهم قد هلكت ولا قدروا أن يصنعوا أمر لأجل تمكن العسكر برا وبحرا . "[3] لكن رغم هذه الحرب وقع الصلح بين الطرفين فقد شجع علي باشا كرم ذلك التاجر الفرنسي المدعم بحضور عدد من الفرقاطات على ابرام معاهدة السلم تقتضي بإرجاع المراكز التجارية إلى سالف عهدها بالرغم من أنها تفرض على قنصل فرنسا الخضوع إلى مراسيم تقبيل اليد وكان ذلك في 9 نوفمبر 1742 م [4]. وبعد هذه الأحداث هدأت الأوضاع العامة في تونس إلى غاية ثورة يونس من أبيه 1752م لأن هذا

---

[1]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، ص 152. 4 أندري جوليان شارل، تاريخ افريقيا الشمالية تونس - الجزائر - المغرب من الفتح الإسلامي إلى 1830، ج2، تع: محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ص 383 .
حمام صورية، لجوء... مرجع سابق، ص 185. حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، ص152. بن العطار أحمد بن المبارك، تاريخ بلد قسنطينة 1790-1870م، تح تع وتق، عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص133. و حمام صورية، مرجع سابق، ص186 .

[2]- أحمد ابن أبي الضياف، ج2، مصدر سابق، ص ص 153-154.

[3]- ياسين صنديد، الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا1117-1197هـ/1705-1782م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث، اشراف: إبراهيم سعيود، جامعة غرداية، الجزائر، 2012-2013، ص55.

[4]- أندري جوليان شارل، تاريخ افريقيا الشمالية تونس - الجزائر - المغرب من الفتح الإسلامي إلى 1830، ج2، تع: محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ص 383 .

الأخير تعدى في جمع الضرائب وتعدي الشرع والقانون والاستلاء على أموال الناس[1]، في حين يذكر حسن حسني عبد الوهاب أن سبب هذه الثورة راجع إلى المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها يونس عند أبيه، فكان أخويه (سليمان ومحمد) يحس انه على ذلك، فسعيا به لدى والدهما وأحدثا الثغرة بين الأب وابنه[2]، ويضيف ابن العطار أنه لما اشتعلت نار الحرب بين علي باشا وابنه استقر يونس بالقصبة بتونس داخل البلد وأبود بباردو[3]، واستولى يونس على القصبة في 24 أفريل 1752م والتف حوله العديد من رجال الحكم والجند بالإضافة إلى القبائل المعادية لعلي باشا وانقسم من جديد المجتمع إلى شقين الشق القبلي ليونس والجوي لعلي باشا"[4]، ووقعت بينهما حروب عظيمة يطول ذكرها، ثم فتر يونس هاربا إلى أن وصل تبسة وكاتب حسين باي قسنطينة بقدومه، فبعث له جيشا وأكرم نزله ودخلقسنطينة عام 1752م [5]. ولما تولى حسن باي أزرق عينيه قسنطينة قام بسجن يونس داخل داره [6]فزاد حسن باي أزرق عينيه في التضييق على يونس وأخذ جميع أمواله وذخائره [7]ثم خرج حسن باي إلى تونس بالعساكر الجزائرية مع محمد وعلي باي ومعهم أهل بادية تونس ووصلوها وقتلوا علي باشا في عام 1756م[8]. أما بالنسبة ليونس فسجن من طرف باي قسنطينة حسن ثم أخرجه وتوفي بعدها عام 1768م[9]، وبعد أن دخل الجزائريون العاصمة قضوا على الباي علي ونصبوا مكانه محمد أحد أبناء حسين بن علي بابا عليها واضطروه إلى دفع إتاوة لهم عام

---

[1]- حصام صورية، لجوء... مرجع سابق، ص 185.
[2]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، ص152.
[3]- بن العطار أحمد بن المبارك، تاريخ بلد قسنطينة 1790-1870م، تح تع وتق، عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص133.
[4]- حصام صورية، مرجع سابق، ص186 .
[5]- بن العطار أحمد بن المبارك ، مرجع سابق ، ص 133.
[6]- ابن ابي الضياف أحمد، الإتحاف، ج2، مصدر سابق، ص172.
[7]- أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر 1754-1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص17.
[8]- أحمد بن المبارك بن العطار، مرجع سابق، ص135.
[9]- أحمد ابن أبي الضياف ، ج2، مصدر سابق، ص172.

1756م[1]، فباشر محمد باي أمر الولاية بتدبر وثبات وقد اعتضد بأخيه علي باي الثاني في مباشرة أحوال الإيالة، إلا أن مدته لم تطل، حيث توفي سنة 1172ه/1759م وترك الولاية لأخيه الأصغر علي باي الثاني [2]، ويذكر حمودة عبد العزيز أنه في عهد الباي أبو الحسن علي باي وقعت ثورة اسماعيل بن يونس حيث فز إلى طرابلس وبقي بما إلى غاية وفاة محمد باي وأصبح ينتقل من مكان إلى آخر فعزم على فتح صفاقس لكنه فشل فتوجه إلى جمال ففرح أهلها بدخوله[3]ثم توجه إلى جبل وسلات فحذر علي باشا أهلها منه فطرده الأعيان في 8 نوفمبر 1759م، خرج علي باشا بسائر المخزانيةوالمرزاقية وضيق على الجبل بالحصر[4].

استقرت ثورة اسماعيل إلى غاية 1762م وانجر عنها خسائر مادية وبشرية ولم يستطع الصمود فتراجع وتوجه نحو الغرب إلى تبسة وبعدها الى قسنطينة أين عاش والده سجينا ومرة أخرى تكون أرض الجزائر ملجأ للخارجيين والمتمردين عن الحكم التونسي[5]، أما سياسته الخارجية فقد حصل له خلاف مع قنصل فرنسا أدى إلى إعلان الحرب بين الدولتين وسبب ذلك أن فرنسا ألحقت جزيرة كورسيكا بممالكها سنة 1768م، فلم تصادق الإيالة التونسية على إلحاقها ولا الاعتراف بالجنسية الفرنسية الأسري تلك الجزيرة المقيمين بتونس، فأعلنت الحرب وعليه أرسلت حكومة فرنسا فرقة من أسطولها وأطلقت قنابل على مراسي حلق الوادي وبنزرت وسوسة والمنستير لكن بعد المواجهة بين الطرفين أبرم الصلحبباردو سنة 1184ه/ 1770م ورجع التجار الفرنسيين إلى الحاضرة[6]. بعد ذلك طلبت الدولة العثمانية المساعدة منباي تونس لإعانتها

---

[1]- جوليان شارل، مصدر سابق، ص 383.
[2]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، ص154.
* هو محمد ابن حسين بن علي ولد عام 1122م و توفي عام 1172م. ارجع الى السنوسي، مرجع سابق، ص ص 99-111.
[3]-حمودة بن محمد بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، ج1، تحقيق: محمد ماضور، الدار التونسية ، تونس، 1970، ص ص 49-54 أحمد ابن أبي الضياف ، ج2، مصدر سابق، ص172.
[4]- أحمد ابن أبي الضياف، ج2، مصدر سابق، ص197.
[5]- حصام صورية، لجوء...، مرجع سابق، ص187.
[6]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، ص155.

في حربها ضد موسكو فبعث لهم علي باي الثاني خمسة مراكب حربية بالرجال والذخائر في ماي 1771م[1].

لما طعن علي باي في السن رأى في أن يولي ابنه الشاب أبي محمد حمودة باي فشارك والده في الحكم الى غاية وفاة علي باي عام 1196ه/1782م، عندها جددت له البيعة فباشر حمودة باشا أمور ولايته بكل اجتهاد[2].

وعودة الى مرحلة حمودة باشا(1782م-1814) و التي تعج بالأحداث ،كان منها حربه مع البندقية (1784م -1792م)، بسبب أن بعض التجار من صفاقس استأجروا سفينة من البندقية النقل بضائعهم من الاسكندرية إلى وطنهم إلا أن الطاعون تفشي بين ركاب السفينة فقادها بانها إلى مالطة حيث احترقت البضائع بأمر من السلط هناك فتعلل أصحاب البضائع بنقص شروط عقدة النقل وطالبوا بغرامة مالية تعويضا لما ضاع لهم من الأمتعة [3]، فامتنعوا وقدمت أساطيلهم إلى القتال على حلق الوادي ثم إلى صفاقس وسوسة ولم يحصلوا على طائل وخرجت المراكب التونسية لغزوهم فسلبوا وغنموا ودامت الحرب حتى غرموا ما ضاع للتجار وبعد ذلك انعقد الصلح سنة 1209ه/ 1792م[4]، وفي السنة نفسها ثار عليه بعض غلمان من المماليك للفتك به لولا لطف الله به ووزيره يوسف صاحب الطابع الذي أنقذه[5]، كذلك المعارك منها المعارك التي خاضها ضد الثائر على برغل الذي طرد علي بن محمد القرمانلي حاكم طرابلس فستنجد هذا الأخير بحمودة وأعقب على ذلك إستيلاء عليبرغر على جزيرة جربة فأعد حمودة جيشا من 40ألف مقاتل، هزم علي برغل وأعاد القرمانلي الى حكمه [6]فتوطدت العلاقة بين الإيالتين ،وأقام القرمانليون وكيلا دائما لهم في تونس،كما أقام حمودة وكيلا في طرابلس و

---

[1]- أحمد ابن أبي الضياف ، ج2، مصدر سابق ص ص 206-207

[2]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، ص 156

[3]- محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص89

[4]- الباجي المسعودي، مصدر سابق، ص259

[5]- ابن أبي الضياف أحمد ، ج3، مصدر سابق، ص ص 20-21.

[6]- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا تونس الجزائر - المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دت، ص 112.

تم تعيين حدود بين الإيالتين برضى الطرفين من خلال مرسوم ولائي صادر عن حمودة باشا بتاريخ 16 محرم1221ه/1806م[1]،أما بالنسبة لعلاقة حمودة مع الجزائر كانت غير ودية يسودها العداء والصراع بسبب تدخل الجزائريين في صراعات الطبقة الحاكمة في تونس،فأصبح المجال الجزائري قبلة للمتمردين المهزومين من الفئة الحاكمةبتونس مقابل تقديم اتاوة سنوية فحاول حمودة التخاص من هذا الوضع[2] وامتنع من دفع ما يمليه عليه داي الجزائر ،ولم يكتف بهذا القطع فقط، بل فاغتنم فرصة فرار باي قسنطينة مصطفى انجليز السابق إلى تونس [3]ومنحه حق اللجوء السياسي ووعده بإعادته إلى منصبه[4] فجهز له الباي عسكره النظامي وقصد قسنطينة لافتكاكها وجعلها تحت حكم الباي المعزول[5]، فغاظ ذلك صاحب الجزائر فتعلل بإرسال عدد من البقر يطلب بيعه بتونس وعين الثمن في كتابه بصيغة صريحة في الإمرة، على غير الأسلوب الذي اعتيد منهم من لطف الخطاب فجمع بذلك الباي رجال دولته وكلمهم في الأمر فقال له الوزير صاحب الطابع " عظم الأمر واتسع الخرق، والمساعدة هي التي أوصلتنا لهذه الدرجة من المعرة، فإن سيدنا سمسار لصاحب الجزائر ... بل هو محكوم عليه بأداء مال معين ودفعه بظلم رعيته كدفعه من خزانته[6]، وهكذا أعلن الباي الحرب على الجزائريين فزحف الجيش التونسي بقيادة الكافية سليمان باتجاه قسنطينة وقصف المنصورة بالمدافع لمدة 30 يوما، كما انضم الفليسيون (فليسة) إلى الجزائريين للحصول على الغنائم [7]، فنزل سليمانكاهية على قسنطينة وأخ في حصارها حتى أشرف

---

[1]- عمار جحيدر، آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1991، ص ص 211-212.

[2]- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط1، د.م، 1969، ص111.

[3]- محمد الهادي الشريف ، مرجع سابق، ص91.

[4] - مشطري عبد الحفيظ، الجزائر العثمانية 1800-1830م دراسة في تطوراتها السياسية و علاقاتها الخارجية، اشرافي: بورغدة رمضان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قالمة، الجزائر ، 2014-2015، ص113.

[5]- محمد الهادي الشريف ، مرجع سابق، ص91.

[6]- أحمد ابن أبي الضياف ، ج3، مصدر سابق، 41.

[7]- عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص 590 .

على فتحها لولا انخذالالأعراب الذين كانوا معه فولت العساكر التونسية [1]، وكان ذلك عام 1807م ثم خرجت مرة أخرى والتقى الجمعان في محل يعرف بسلاطة يوم 13جويلية 1807م وكان النصر هذه المرة لتونس[2] .

وفي سنة 1811م حاول الانكشاريين انهاء حكم الحسينيون في ايالة تونس عن طريق محاولة انقلاب على الباي حمودة باشا لاستعادة السلطة[3]، وكان عددهم فيما يزيد عن 2500 انكشاري فانتهز الباي الفرصة للتخلص منهم نهائيا مستعينا بالأهالي وهو أول باي يعتمد على موارده المحلية في عملية التجنيد وهو من اعتمد على تجنيد أبناء العرب منالمخازنية – والزواوة لمواجهتهم ، وهذا ما ساعد على إقامة توازن داخلي بتونس رغم إحتفظها بعلاقاتها الرسمية مع الدولة العثمانية فكون حمودة باشا بعد هذا التمرد الانكشاري جيش عربي جديد يتألف من قسمين: جيش المخازنية وجيش المزارقية وسلحه تسليحا حديثا على النمط الأوروبي[4] وعدده قرابة 30 ألف جندي يتكون من العناصر المحلية كان يتوزع ب:-10 فرق من المشاة متكونة من المرزاقيةوالمخازنية المنتشرة في الأرياف والمناطق الإستراتيجية وكانت مسؤوليته الحفاظ على الأمن وكان تنظيمه قبليا ولم تكن السلطة الحسينية تدفع رواتب مالية للقبائل العسكرية بل تعنيها من الضرائب وتقدم لها بعض الخدمات مقابل خدماتها العسكرية، وهناك 4 فرق للمدفعية تتحرك في الموانئ الكبرى والمدن الواقعة على الحدود[5].

---

[1]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، ص 158.

[2]- أحمد ابن أبي الضياف، ج3، مصدر سابق، ص ص 41-49.

[3]- أحمد مقصودة، "المجتمعات ولايات المغرب العثمانية من ق16-19م"، ع2، جامعة البيض، الجزائر، جوان 2019، ص 306.

*-المخازنية:وهي فرقة الجيش الإحتياطي الذي كان يجند من بين قبائل المخزن وقياداته دائما تركية أو من الأعلاج .انظر : عبد الله إبراهيم حسين،تمردات وثورات الإنكشارية في تونس خلال عهد الأسرة المرادية والنصف الأول من عهد الأسرة الحسينية 1631_1831م"،مجلت جامعة سرت العلمية ،مج6،ع2،ليبيا،ديسمبر2016م،ص75.

*- الزواوة: هم جند من أبناء البربر الوافدين إلى تونس من منطقة القبائل. ارجع: عبد الله ابراهيم حسين، مرجع سابق، ص73.

[4]- خليل أحمد ابراهيم، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916م، دار ابن الأثير، جامعة الموصل، 2005، ص 105.

[5]- سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، دار الشروق، الأردن، 1997، ص ص 290-291 .

أما فيما يخص سياسة حمودة الخارجية فإنه عمل على ربط علاقات متينة مع الدول الأوروبية لتسهيل المبادلات التجارية خاصة مع فرنسا فقد توطدت بينه وبين نابليون بونابرت صلات وثيقة[1]، حتى أنه رفض أمر الدولة العثمانية بإعلانها الحرب على فرنسا[2]، أيضا قبلت تونس بنائب دولة الدنمارك، وجددت معاهدات التجارة والسلم مع اسبانيا وهولندا والولايات المتحدة الامريكية وغيرها[3].

وبعد وفاة حمودة باشا عام 1814م بويع المولى عثمان وكانت أيامه أيام خصب ورخاء ولم تكن فيها حوادثتذكر، ولما رأى المولى محمود ضعف الباي خافوا زوال ملكهم فاجمعوا على خلعه الفاتح من محرم 1230ه [4]، وهكذا تولى العرش محمود باي بعد ثلاثة أشهر وأيام من حكم عثمان باي[5]"، وفي عهده قتل الوزير يوسف صاحب الطابع الذي كان عميد الدولة في فترة حمودة وسبب ذلك أن بعض كبار الموظفين كانوا يحسدونه على سمعته فاتهموه بنوايا واهية وقتل طعنا سنة 1230ه/1815م[6]، فثار جند الترك عام 1816م على الباي محمود فنهبوا أسواق البلاد واحتجزوا في القصبة وأدى بهم الجوع إلى الخروج والاستسلام وتولى هذه الثورة أبو العباس أحمد حافظ الأزمرلي[7]وكانت هذه الثورة العدة أسباب: مقتل الوزير يوسف صاحب الطابع، الخلاف بين محمود باي وأخيه إسماعيل ورفضهم للباي محمود وكذلك وصول اللورد اكسماوث قائد الأسطول الانجليزي بأسطوله في 19 أفريل 1816م إلى تونس، والذي يطلب بتسريح الأسرى النصارى بدون فدية ومنع القرصنة، وإلغاء الرق، وقد

[1]- سيار الجميل ، مرجع نفسه، ص 446.
[2]- عبد المجيد القصاب، مرجع سابق، ص 199.
[3]- صالح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر تونس - المغرب، طه، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993، ص49.
[4]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، ص 159.
[5]- الباجي المسعودي، مصدر سابق، ص 264.
[6]- اندري جوليان شارل، مصدر سابق، ص 385 .
[7]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، ص 160.

خضع الباي لجميع شروطهم، فاندلعت شرارة ثورة الانكشاريين لذلك[1]. كما اضطرته الدول الأوروبية على إبطال الرق سنة 1819م رغم النتائج السيئة التي نتجت عنه هذا الاجراء وعلى الاقتصاد بشكل خاص وبذلك أدرك ضرورة التقرب من الوجق الجزائري للصمود أمام الدول العظمى، غير أن الإيالتين لم تبرم الصلح إلا بعد مرور عامين (1821م)[2] لأن داي الجزائر قدم لباي تونس شروط العقد الصلح بينهما وهي: - قبول تونس بالعودة في علاقتها مع الجزائر إلى الوضع السابق على الحرب التي نشبت بينهما أيام حكم علي باي الحسيني.

- أن تسدد تونس الجزائر بانتظام الاتاوات المالية التي كانت قد اشترطت عليها إبان تلك الحقبة، وأن تسدد كذلك المبالغ المتأخرة منها .

- أن تبادر تونس فورا إلى هدم التحصينات الدفاعية التي شيدتها عند مدينة الكاف، وكذلك إلى هدم بقية التحصينات الحدودية المتاخمة للجزائر .

وفي حالة رفضه لهذه الشروط سيعلن الحرب على باي تونس، فرد هذا الأخير على هذه التهديدات بمجرد حبر على ورق[3]. هنا تدخل السلطان العثماني محمود خان الثاني وأمر بأن يرسل كل من داي الجزائر وباي تونس رجلا من الوجاق لينظر في الأمر، واستفسر وزيره عن سبب العداوة فرد عليه صاحب تونس أن التعدي من صاحب الجزائر، ولما تكلم داي الجزائر قال : " هذه تونس كنا أخذناها سابقا وأصبح أهلها رعية لنا وكنا نأخذ منهم الغرامة كل سنة ثم إنهم عصونا فصرنا تأخذهم ولا نزال نأخذهم ونأخذ بلادهم، إلى التوانسة رعية لنا مثلما الكريك رعية لكم، فنأخذ نحن من التوانسة كما تأخذوا من الاريك"، فرد الوزير : "أن البلاد

[1]- ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف...، ج 3، مرا و تع: أحمد الطويلي، الدار التونسية، تونس، 1979، ص 149.
[2]- عبد الله ابراهيم حسين، مرجع سابق، ص ص 76-77.
[3]- شارل أندري جوليان ، مصدر سابق، ص 385.

بلاد السلطان ولا يمكن أن تقع عداوة بين المسلمين [1]، فانعقد الصلح بين تونس والجزائر يوم 20 مارس 1821م على رد جميع ما أخذ من التونسيين [2]. وبعد انعقاد الصلح ثار الإغريق على الدولة العثمانية عام 1237ه فجهز الباي محمود فرقة من الأسطول التونسي تتألف من تسع مراكب حربية وأرسلها تحتقيادة حسونة الموالي لإعانتها فشاركت تلك السفن في إطفاء ثورة اليونان[3]. يوم وفاة محمود باي 1824م تمت البيعة الحسين باي وكانت أيام دولته أعيادا ومواسم[4] وباشر بالكثير من الاصلاحات العسكرية فقد رتب الجند التونس ترتيبا نظاميا، وأبطل فرقة الانكشارية وأمر موظفيه وأرباب الرتب العسكرية بترك زيهم المعهود وحمل اللباس النظامي[5] وفي سنة 1827م وقعت حادثة ناورين البحرية التي التقى فيها الأسطول العثماني معزا بسفن حربية من مصر والجزائر وتونس بالأساطيل الأوروبية في المياه اليونانية [6]وكان سبب هذه الثورة أن الإغريق طالبوا باستقلالهم عن الدولة العثمانية والتقى الطرفان بمرفأ ناورينبالاغريق فكان النصر لهم ونالت استقلالها[7]، كما حدث في أيام حكمه أن فرنسا استولت على الجزائر عام 1830م وانتزعوها من سلطة الرجل المريض[8]. فكان موقف تونس من هذا الاحتلال مؤيدا حيث لم يتردد الباي في مد باريس بمعلومات عن الوضع الداخلي بالجزائر[9]، وموقفهم هذا بسبب العداوة القديمة بينهما فلم يقدموا لهم أي مساعدة، وبعدها وجهت فرنسا أنظارها نحو تونس التي تعتبرها امتداد للجزائر من

---

[1]- البارون ألفونص روسو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى إحتلال فرنسا للجزائر، ترو تح و تق: عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، د. س، ص ص 316-317.

[2]- أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص147.

[3]- أحمد ابن أبي الضيافى ، ج3، مصدر سابق، ص135.

[4]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، ص 161.

[5]- الباجي المسعودي، مصدر سابق، ص 268.

[6]- حسن حسني عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 164.

[7]- عطا الله الجمل شوقي، مرجع سابق، ص 113.

[8]- حسن حسني عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 163.

[9]- عبد المجيد القصاب، مرجع سابق، ص 201.

الناحية الشرقية [1]بل واصبحت محل صراع بين فرنسا وبريطانيا للاستئثار بالنفوذ في تونس[2] ومحاولة الحصول على المزيد من الامتيازات الاقتصادية، وبالفعل حصلت بريطانيا على حق صيد المرجان بساحل طبرقة[3].

وفي أكتوبر 1834م، ورد للباي مكتوب من أولاد قرمانلي وكافة أهل المنشية شاكين من على باي بن يوسف باشا قرمانلي لأن أباه خلع نفسه وقدمه للولاية وهم يفضلون حكم أبناء أخيه الذين معهم بالمنشية، وطلبوا من الباي إرسال مكتوب للدولة العثمانية لإنهاء ذلك في 13 نوفمبر 1834م[4]، وبذلك تدخل الباي وبعث بالمكتوب للباي العالي ليطلعه على الوضع الداخلي الخطير لطرابلس على أمل أن يضيفها إلى مملكة تونس، ويتضح أن إيالة طرابلس أقلالإيالات العثمانية المغربية قوة ولم تكن لها أطماع توسعية بل تكتفي عادة بالحياد أو التحالف مع طرفي النزاع (الجزائر |تونس)[5].

وبعد وفاة الباي حسين يوم 23 محرم 1251ه/ 20ماي 1835م بويع أخاه أبو النخبة مصطفى باي[6] البيعة الخاصة وكانت أيامه أيام هدوء وسكون، وأهم ما قام به اعتنائه بالعسكر النظامي، وهو أول من صاغ النياشين للضباط جزاءا لهم على خدمتهم وسماها نياشين الافتخار منقوش عليها

---

[1]- شارل اندري جوليان ، مرجع سابق، ص 385.
[2]- عبد الرحمان تشابي ، مرجع سابق، ص 32.
[3]- شمس نجم الدين زين العابدين، مرجع سابق، ص139.
[4]- بنت معجب الحامد نورة، علاقة بريطانيا بتونس العثمانية 1778–1830م، جامعة الملك سعود، 2005، ص 145.
[5] -لأحمد ابن أبي الضياف، ج3، مصدر سابق، ص 191.
[6]- المنصف التايب، "المال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني"، مجلة روافد، ع4 ، تونس، 1998، ص 13.
بن جراد بلقاسم بن محمد، مرجع سابق، ص 86 .

اسم الباي، إلا أن مدة حكمه لم تطل[1] فتوفي يوم 10 رجب 1253هـ / 10 أكتوبر 1837م[2]،لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من حكم الباياتالحسينيين .

المبحث الثاني :الأوضاع الإدارية:

بعد أن قضى الانكشاري حسين بن علي على الأسرة المرادية سنة 1705م، قام بتأسيس أسرة أخرى تحكم تونس وهي الأسرة الحسينية والتي ظلت تحكم إلى غاية الاستقلال للبلاد عام 1956م[3]، فقد استطاع حسين بن علي أن يستقل وينفصل ذاتيا وليس رسميا عن العاصمة الأستانة، فالسلطان العثماني يطلب أن يصك النقود باسمه مقابلتقليده منصب الباشا أي اعتراف الأستانة بحكمه[4]، كما يلزم الباي بإرسال مقدار معين من المال كاعتراف منه بالنفوذالتركي [5]كان الباي هو رئيس الحكومة في البلاد التونسية وقد جعلها حكومة وراثية لكن ليست إلى الأكبر من أبنائه بل إلى أكبر أفراد العائلة الحسينية سنا، وكامل السلطات بيده[6]، فالدولة العثمانية لا تتدخل في أمور الحسينيين وإصدارهم القرارات بدليل توريث حسين بن علي لابن أخيه علي باشا وعندما أصبح له أولاد قرر تنحيته وتنصيب ابنه محمد،كذلك عندما اندلعت الحرب الأهلية بين حسين بن علي وعلي باشا لم تتدخل في ذلك النزاع[7]، وبعد ذلك أصبحت الدولة الحسينية مستقلة أكثر عن الدولة العثمانية في عهد حمودة باشا الذي أبطل مقدار المال الذي كانت ترسله لها، ضف الى ذلك اتخذت علما لتونس يختلف عن علم

---

[1] - خليل ساحلي أوغلي ، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، استنبول، 2000 ص 373.

[2] - حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، ص166

[3] - أحمد ابن أبي الضياف، ج3، مصدر سابق، ص227.

[4]- د عبد المنعم الجميعي، الدولة العثمانية والمغرب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007، ص59.

[5]- الجميل سيار، مرجع سابق، ص 292.

[6]- بن جراد بلقاسم بن محمد، مرجع سابق، ص 86.

[7] - زاهر رياض، شمال إفريقيا في العصر الحديث ليبيا تونس - الجزائر - المغرب، دن، مصر، 1967، ص122.

الإمبراطورية التركية[1]، كما عقدت عدة معاهدات واتفاقيات تعاون تجاري وتحالف عسكري مع الدول الأوروبية دون الرجوع إلى السلطان هذا ما أغضب الدولة العثمانية مما جعلها تفكر في إلحاق طرابلس بتونس عام 1834م[2].

وللباي أيضا وزارة وكتبة يعينهم بنفسه منهم الأتراك المقيمون في البلاد وأعيان حاضرة تونس، أي كبار التجار والعلماء وملاك الأراضي... وغيرهم، ويوجد في هذه الوزارة مناصب منها: منصب صاحب الطابع، خزندار (وزير المالية)، باش كاتب (وزير البلاد، وزيركاهية (وزير الحربية)، وكانوا ينفذون أمر الباي وفقط وبدون اعتراض[3].

كما يوجد الديوان الذي يتألف من الأغواتوالبلوكباشياتوالأودباشيات ويرأسهم الداي أو الكاهية ، فيتداولون في المسائل العامة ويبدون رأيهم في القضايا الخاصة بينما السلطة الحقيقية والفعلية للباي، ومهمة الكاهية هنا تطبيق أحكام العدالة بحيث ينفذها فورا، لأن الفصل في القضايا تكون بسرعة، وغالبا ما يكون العقاب ضرب بالعصا ، أما المسيحيون فيفصل في شؤونعم القناصل التابعون لهم، بينما يتولى أمر اليهود أحد القضاة العارفين بشؤونهم[4].

أيضا يوجد الباشا تبعث به القسطنطينية ممثلا للسلطان ولكنه موظف شرفي ليس له صوت في الديوان ولا يتولىأية سلطة الحكومة، والباي

[1]- تركى بن عجلان الحارثي، "الوجود العثماني في تونس في الفترة ما بين 1246-1298ه/1830-1881م"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع4، المملكة العربية السعودية، رجب 1428ه، ص ص 18-19.
[2]- بن جراد بلقاسم بن محمد، مرجع سابق، ص 86 .
[3]- تركي بن عجلان الحارثي ، مرجع سابق، ص ص 29-32.
[4]- سيار الجميل ، مرجع سابق، ص292.

يعتبره مجرد وزير مقيم للباب العالي بتونس[1]. أي أن الديوان صلاحياته عسكرية، منها أيضا دفع رواتب الجيش[2].

قرب الباي حسين بن علي التركي كبار الأعيان المحليين ونصبهم في استغلال خيرات البلاد عن طريق اللزم والوكالات والخطط الإدارية[3]، أما البوادي فقد عاد إلى استخدام قبائل المخزن من أمثال قبيلة دريد والحمامة، وخصص لهم مناصب [4].

قسمت الايالة التونسية إلى 24 مقاطعة و يشرف على كل مقاطعة قائد يعينه الباي من بين ضباط الجند أو أعيان القبائل الموالية، وللقائد مهام كقيادة العساكر وجباية الضرائب، ويساعده في ذلك قاض للبث في الشؤون العامةللأهالي، ومن أهم المقاطعات التونسية في العهد الحسيني قابس، صفاقس، سوسة، توزر ، ...و غيرها، وكانت المقاطعات آنذاك تدعي أعمال أو عمالات[5].

المبحث الثالث :الأوضاع الاجتماعية

يحتوي المجتمع التونسي على مزيج مركب من عناصر مختلفة الأجناس والأعراق ،إضافة الى العنصر المحلي ،له عادات وتقاليد مختلفة

طبقات المجتمع التونسي:ينقسم المجتمع التونسي الى قسمين :

1-سكان المدن:وهو على جانب من الحضارة وجل إحترافهمبالتجارة،ومنهم من إحتكر الصناعات التقليدية [6]أي أنهم القابضين

---

[1]- هابنسترايت ج. أو، رحلة العلم الألماني إلى الجزائر وتونس و طرابلس (1145هر-1732م)، تر و تق و تعليق: سعيدوني ناصر الدين، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص116-117. * هابنسترايت ج. أو، مصدر نفسه، ص117.

[2]- الجميل سيار، مرجع سابق، ص292.

[3] - الأرقش دلندة وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي مديا كوم، تونس، 2003، ص64.

[4] - تركي بن عجلان الحارثي، مرجع سابق، ص 83

[5]- الجميل سيار ،مرجع سابق ،292.

[6]- ياسين صنديد، مرجع سابق، ص ص 149-150.

على السلطة السياسية والعسكرية ومختلف المجالات [1]،وتنقسم هذه الطبقة الى مئات وهي:

أ-1- جماعةالحظر:تظم العناصر الأولى في قطر التونسي الذين يعرفون بالبلدية.

أ-2-فئة البرانية : فقد ازداد عدد الوافدين إلى تونس خلال العهد الحسيني إما لغرض التجارة (القوافل القادمة من المغرب و فزان)[2]أو لطلب العلم سواء من المدن التونسية أو الدول المجاورة كالأندلسيين، الطرابلسيين وتمركزوافي مختلف مناطق القطر التونسي .

أ-3- فئة السودانيين: واستقروا بالجنوب التونسي الذين شكلوا بامتزاجهم مع التونسيين صنف آخر عرف بالحمارنة (أسمر اللون) الجنوب التونسي .

أ-4- فئة الأتراك العثمانيين: وقدموا من الأناضول، قل عددهم بسبب دخول الإيالة في صراعات والأوبئة

أ-5- فئة الأعلاج: الذين اعتنقوا الاسلام ذات أصول أوروبية.

أ-6- فئة الكراغلة: (أب تركي وأم تونسية) تتمتع بامتيازات مادية و استقروا في المناطق الساحلية[3].

أ-7- فئة الدخلاء : هم اليهود والأسرى المسيحيين، حيث بلغ عدد اليهود الذين جاءوا من ليفورن الايطالية بالحاضرة. فقط أواسط ق18م حوالي6,750 نسمة ليرتفع أكثر في بداية ق 19 إلى15 ألف نسمة[4]، لتوفر عوامل الاستقراروحريتهم في ممارسة شعائرهم الدينية، أما النصارى فهم الذين أسروا من مختلف مناطق البحر الأبيض المتوسط من عملية

---

[1]- محمد الشريف الهادي ، مرجع سابق، ص85.
[2]- بن علي زين العابدين ، مرجع سابق، ص72.
[3]- أحمد ابن أبي الضياف ، ج3، مصدر سابق، ص ص 155-156.
[4]- فيلالي السايح، مرجع سابق، ص 40.

القرصنة فيصبحون إما عبيد أو مماليك[1]. ولا ننسى هجرة الجزائريين إلى تونس بعد احتلال بلادهم من طرف فرنسا عام 1830م[2].

2- **سكان الأرياف :** وهم الفلاحون الذين يقومون بزراعة الأرض وفلاحتها، وقد استمال الحكام شيوخهم وأعياشم بطرق شتى (كالإعفاء من الضرائب) إلى صفهم، وهذه الطبقة تميل إلى الهدوء والاستقرار للحفاظ على أرزاقهم و ممتلكاتهم[3]، يتمركزون في المنطقة التلية، أما منطقة الهضاب والصحراء فكانت خاصة بتربية المواشي[4]، وكانت هذهالقبائل القاعدة الخلفية لأي متمرد على الحكم فيلتجأ اليها لمساندة حركته وأحيانا هي بذاتها تعكر العلاقات بين الدول كقبيلة الحنانشة، الحمامة، دريد[5].

الأحوال الصحية : بالنسبة للأمراض لم تكن منتشرة في هذا العهد بشكل كبير خاصة أن الطب التقليدي انتشربطرق عديدة (كشرب المريض الماء المقروء عليه القرآن أو مواد تطهيرية)، وللوقاية من الأمراض الباقية ساهم حسين بن علي في وضع قاعادة قوية وذلك بإقامة العديد من المستشفيات واصلاح أخرى مخربة، كما تدخلت الدول الأوروبية (فرنسا واسبانيا) ببناء عدد كبير من المستشفيات للأسرى الأوروبية، وعند وصول حمودة للحكم استاء من حالة الطب وحاول تحسينها فجلب أطباء من أوروبا ذوي خبرة[6]، فتحسنت نوعا ما بسبب جهوده.

أما بالنسبة للأوبئة والمجاعات بداية القرن 18م لم تكن موجودة فتزايد بذلك عدد السكان تزايدا ملحوظا، الذي كان بمثابة حافز منشط للإنتاج

---

[1]- بوتوقوماس حفيظة، الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني 1705-1835م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: أرزقيشويتام، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2010-2011، ص127.

[2]- شارل أندري جوليان ، مصدر سابق، ص382.

[3]- بوتوقوماس حفيظة، مرجع سابق، ص ص 128-133.

[4]- بن رجب رضا، يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية (1685-1857م)، تق: الأرقش عبد الحميد، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2010، ص ص 74-75.

[5] - بن جراد بلقاسم بن محمد، مرجع سابق، ص87.
فيلالي السايح، مرجع سابق، ص 41.

[6]- بوتوقوماس حفيظة، مرجع سابق، ص 139.

والاستهلاك والتجارة[1]. لكن مع نهاية القرن18م وبداية القرن 19م تعرضت ايالة تونس لعدة مجاعات وأوبئة ففي سنة 1783 -1784م وقع بالمملكة طاعون جارف بجمال من بلاد الساحل واستمر نحو تونس ثم ضرب أهل صفاقس حتى انتهى نحو 250 رجل في اليوم وأعيان من الحاضرة وأثر في عمران البلاد[2]. لكنه أعاد التوازن الديمغرافي للسكان وحجم الموارد[3]، كما ضرب الايالة التونسية قحط شديد بسبب احتباس الغيث سنة 1802م مما تعسر الاتيان بالميرة لوقوع الحروب فاشتراها الباي من المغرب[4]ليعود الوباء عام 1818م ليصل عدد الموتى به في الحاضرة إلى أكثر من ألف في بعض الأيام ودام نحو العامين فتراجعت الايالة بسببه وبقيت المزارع معطلة [5]كذلك القحط الذي وقع في عهد حسين باي سنة 1829م وأمر باستيراد المؤن من ماله الخاص[6].

العادات والتقاليد:

ظهرت العمامة الخضراء بالديار التونسية بعد استقرار الأتراك بها عام 11ه وانتشرت أكثر خلالق12ه[7]، كذلك كان يوجد القفطان وهو عبارة عن ثوب فضفاض يصل إلى ما تحت الركبتين يفصل من القطيفةأو الحرير، أيضا يوجد الفرملة، الفوط . أما عن حلي المرأة فهي مناقش الجوهر، المقياس، الفكرونة، ... [8]، لكن الباي حسين خلع الثياب العربية (القفطان, العمامة, الطيلسان،...) ولبس الثوب الأوروبي رغم أن الناس رآه بدعة وضلالة ثم سلك أخوه مصطفى باي مسلكه في اللباس[9]. كان للمجتمع التونسي عدة مواسم يحتفلون بما منها: عيد الفطر، عيد الأضحى، يوم

---

[1]- فيلالي السايح، مرجع سابق، ص 41.
[2]- بوتوقوماس حفيظة، مرجع سابق، ص ص 158-160.
[3]- محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص92.
[4]- محمود مقديش، مصدر سابق، ص ص 187-188.
[5]- محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 92.
[6]- أحمد ابن أبي الضياف ، ج3، مصدر سابق، ص 39.
[7] - مصدر نفسه، ص ص 191-192.
[8]- فيلالي السايح، مرجع سابق، ص 44.
[9]- محمد بن الخوجة ، صفحات من تاريخ تونس، تق وتح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص230.

عاشوراء، الاحتفال بالزواج، ... و غيرها[1]، وفي سنة 1802م حاول الباي حمودة باشا إبطال ما كان يعمل ليلة عاشوراء المعروف بقعيد العاشوراء وهو أن بعض الرعاع من العامة يحملون شبه رأس انسان ويدورون به في الأزقة والحارات بمشاعل وهم يصرخون المكاحل والمحروقات تكسبا، فأفتى بعض العلماء بأن هذا من فعل الشيعة من أهل البدع، فأمر الباي إبطال هذه العادة[2].

[1]- بوتوقوماس حفيظة، مرجع سابق، ص ص168-174.
[2]- أحمد ابن أبي الضياف ، ج3، مصدر سابق، ص 36.

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية في تونس خلال القرن 19م

المبحث الأول: النشاط الفلاحي والزراعي و النشاط الصناعي والحرفي

أولا :في عهد المشير أحمد باي (1837-1855م)

ثانيا: في عهد المشير محمد باي (1855- 1859)

ثالثا :الضرائب.والعملات

المبحث الثاني :إصلاحات محمد الصادق باي ووزيره خير الدين التونسي في المجالين الزراعي والصناعي.

أولا : في المجال الزراعي والصناعي .

ثانيا : في المجال الحرفي والصناعي .

ثالثا : الأسلوب والنقد.

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية في تونس خلال القرن 19 م.

مع نهاية حكم مصطفى باي 1835-1837م) شهدت البلاد تغيرا كبيرا ليدخل نظام الحكم الحسيني والبلاد التونسية مرحلة تاريخية جديدة، تعاقب خلالها حكم ثلاثبايات: أحد باي (1855-1837م)، محمد باي (1855 - 1859م) ومحمد الصادق باي (1881-1659)، حيث اتبع كل باي سياسة خاصة لتحديث الإيالة التونسية من خلال الإحاطة بمختلف الجوانب. إذن كيف كانت الأوضاع الاقتصادية بتونس خلال الفترة 1837-1859م؟ وما هي جهود الباياتالحسينيين لتطوير الاقتصاد واصلاحه؟

المبحث الأول: النشاط الفلاحيوالزراعي بتونس خلال 1837-1859م

أولا: في عهد المشير أحمد باي (1855-1837م):

بعد أن توفي الباي مصطفي يوم 10 أكتوبر 1837م[1] خلفه ابنه أحد باني الذي سعى جاهدا لتحسين أوضاع البلاد إلى الأفضل، لأنه وجد الإيالة التونسية تعيش ركودا وتشكو تأخرا خاصة في الجانب الاقتصادي بسبب منع القرصنة [2]فالعمل الزراعي كان ينفد بأساليب وأدوات وآلات عتيقة فلم يتقن الفلاح كيفية العناية الصحيحة بأشجاره وكانت الأراضي خصبة والمراعي جيدة لكن كمية الأمطار متغيرة فكان انهمارها يعني بحبوحة في العيش وانعدامها يؤدي أحيانا إلى المجاعات [3]، بعدها افتتح ولايته بأن أثر الناس على مراتبهم وأعمالهم، فكان الاحتفاظ بالمال من نصيب - يقول أحمد ابن أبي الضياف. ابن تربيته الوزير أبا النخيةمصطفى خزنه دار[4].

---

[1]- 'Habib Boularés. Histoire de la Tunisie Les Grandes dates de la préhistoire à laRévilution. Edition. 2012. P432.

هو أبو العباس أحمد بن مصطفى بن محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن علي التركي، ولد عام 1221ه/1806م و نشأ بين يدي والده، تناوب سفر الأمحال في دولة أبيه مصطفى باي، تقلد لباس المشيرية عام 1254ه/1838م. ارجع الى: محمد بن عثمان السنوسي، مرجع سابق، ص137 .

[2]- . إدريس رائسي، القبائل الحدودية التونسية الجزائرية بين الاجارة والإغارة 1830-1881، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 2016، ص 135.

[3]- حسن جبار ابراهيم ، "ايالة تونس في عهد أحمد باشا باي"، مجلة المستقبل العربى، العراق، د.س، ص73.

[4]- أحمد ابن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان ، ج4، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، تونس، 1999، ص 12.

رغم الركود الاقتصادي الحامل في الايالة إلا أن المشير أحمد باي لم يعطي اهتماما كبيرا بهذا الجانب الإقتصادي بل أعطى الأولوية للمجال العسكري وهذا لإقامة جيش قوي لمواجهة العدو الخارجي والانفصال عن الدولة العثمانية.

فيقول صاحب الصفوة: قد وجد ابتداء تنظيم العسكر النظامي [1]، فأسس عام 1840م مدرسة باردو الحربية لتكوين الضباط على الطريقة الأوروبية التي من خلالها أعطى الدفع الحقيقي للإصلاحات العسكرية، لكن هذه الانجازات العسكرية كلفته مصاريف كبيرة لم يكفي مدخول البلاد للقيام بها فلزمه أن يفرض مكوس وأداءات على الأشياء المبتاعة يوفر بما دخل الدولة ، فيقول ابن أبي الضياف:" أقبل الباي في جمع العسكر وترتيبه وتدريه وصرف كل عنايته لذلك حتى أدى بإجحاف دخل المملكة، فلزمه احداث ضرائب ومكوس، فوافقه صاحب الصفوة في القول فيقول: مع ما في نفس الوالي من الكرم من أهل اصطفائه وكبراء العساكر دعاه ذلك إلى زيادة الضرائب على الأهالي باسم مسموها أثقلت الظهر وأوجب الفقر [2] ويضيف أحمد ابن أبي الضياف:" إضطره مصرف العسكر الى هذه الضرائب المتنوعة التي أثرت نقصا على نقص من عمران المملكة[3]، وقد قدم الباي لاستخلاص هذه الضرائب محمود ابن عياد الذي استخلصها مضاعفة وهو المصدق في كل دعوى وتكلف بشؤون العسكر من طعام ولباس وغيرها، فكان هو القابض والدافع وجميع مداخيل الدولة له وجمبعمخارجها من تحت يده لمدة 15 سنة [4]، فيذكر صاحب الإتحاف:" وفي هذه السنة (1840م) قدم الباي محود ابن عياد وكيلا على قبول الأعشار من قمح وشعير برابطة الطعام في الجبل الأخضر، ولاقى الناس من تطفيف الكيل ما أثر نقصا في الزراعة حتى كادت الفلاحة أن تبطل بالمرة، وتغافل عنه لما هو مضطر له من قوت العسكر وعلف الخيل، وآل الأمر الى أن سار القمح والشعير يجلب للمملكة من خارجها[5]، كذلك

[1]- محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، ج2، تح: عبد الطاهر الشنوفي، ط2، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص431.
[2]- العشر : هو أداء عيني على الحبوب يمس بالدرجة الأولى سكان سهول مجردة و جهة تونس، تجمعها جماعة خاصة تسمى الرابطة. ارجع الى: علي المحجوبي ، انتصاب
[3]- محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الظريف، مرجع سابق، ص 139.
[4]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص 25.
[5]- محمد بيرم الخامس، ج2، مصدر سابق، ص431.

يقول صاحب الصفوة :" وزعيم ذلك المضمار هم محمود بن عياد باتحاد مع الوزير مصطفيخزندار مع انحصار جميع أنواع مصاريف الحكومة في يده من قوات العساكر وملابسهم ... وتغاضي الوالي عن المذكور ...ومن اشتكي لأجاب الوالي اخلص مع عاملك...[1]، وبذلك لم يهتم الباي لشكايا الفلاحين والمزارعين لأنه لم يعد سبل الإنتاج ولم بهيئ المواد الكافية للمصروفات بل كان هدفه فقط جمع المال عن طريق الضرائب فقط، فأدى ذلك أن طالب التونسيون بإجراء التنظيمات الخيرية والحكم الديمقراطي الذي يحميهم من الجبايا ويحافظ على الروابط السياسية بين تركيا وتونس في آن واحد[2]، فلبت الدولة العثمانية مطالبهم ولم يتردد الباي في الاستجابة لأمر السلطان[3]، فيقول أحد ابن أبي الضياف" في مارس 1840م ورد من الدولة العلية العثمانية فرمان التنظيمات الخيرية المبني على أساس العدل والحرية وتقدم تعريبه وقرئ على جميع الأعيان محصله إن غرض محمود ولابد من زمن لإبراوه إلى الوجود، لاختلاف الضياع والبقاع وهو أمر محيص عنه ولابد منه ورجع الرسول بالوعد[4].

يمثل الساحل وطن شجرة الزيتون التي عرفت منذ زمن بعيد نموا متواصلا جعل منه أهم نشاط فلاحي باعتباره ضمان مادي من ناحية ، ولتعلقهم بالأرض من ناحية أخرى، لذلك يحتوي كل تجمع سكاني في بلاد الساحل على غراساتزياتين و معاصر ومغارات لخزن الزيوت[5]، فأصدر الباي أمر بإبطال جميع أداء الزيت والزيتون وجعل على كل شجرة الزيتون قانونا يؤديه سنويا وأصدر بذلك منشور عام (1256ه/1840م)[6]، فيقول صاحب الأتحاف:" رتب الباي قانون الزيتون بالساحل لأنه لما حاسب وكلاء الأعشار وجد زيتونا لها بال تخلدت في ذممهم مع ما استحلوه لأنفسهم وقاسموا الشهود بجزء من ذلك، فشكل بعضهم وسجنتهم

---

[1]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص 31.

[2] -محمد بن عثمان السنوسي ، مرجع سابق، ص 139.

العشر : هو أداء عيني على الحبوب يمس بالدرجة الأولى سكان سهول مجردة و جهة تونس، تجمعها جماعة خاصة تسمى الرابطة. ارجع الى: علي المحجوبي ، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع: عمر بن ضو وأخرون، سراس للنشر و التوزيع، تونس، 1986، ص12.

[3]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق ، ص 37.

[4]- محمد بيرم الخامس، ج2، مصدر سابق، 432.

[5]- يونس درمون ، تونس بين الاتجاهات، دار الكتاب العربي، مصر، 1953م، ص ص 35-36.

[6]- تركي بن عجلان الحارثي ، مرجع سابق، ص 43.

وصادر بأموال، وري من الضبط أن يسقط أشياء من أهل الساحل مما اعتادوا أدله وهو ذريعة لامتداد أيدي العمال في أموال الناس، ويوظف شيئا معلوما في كل منة أمر أولم يثمر، والقه على ذلك وزرائه بل وطالبة أهل الساحل لتكون غلتهم لاختيارهم يجمعوما من شاءوا [1]، وبذلك أبطل الأداء القديم بأنواعه السبعة وعوضه بضريبة القانون على زيوت الساحل[2] ، نضيف صاحب الإتحاف :" فلذلك التنضي نظرنا الحكم بإسناد الفصول السبعة عن سائر بلدان الساحل اسقاطا تاما ... فنجد الغني في ترف لذاته، والفقير يؤدي على وجود ذاته ، ، ، ، فلذلك ربنا على نيتون الساحل قانونا في مقابلة ما أسقطناه يؤديه ماله في كل عام كرتين، كل كرة بعد مضي ستة أشهر من أكتوبر سنة التاريخ، وقسمناه الى تلاتة أصناف، عال و متوسط و سافل... ومن لا زيتون عنده فلا قانون عليه، وكتب المشير أحد باي منشور مقالات في 4جويلية 1841م [3].

فأثرت ثقل هذه الضرائب بشكل سلبي على الفلاحة و زراعة حيث أصبحت أخصب الأراضي الزراعية مرد صحراء شجرها المزارعون تجنبا للضرائب التقيلة[4]، لتتدهور أكتر عندما و قع الجذب والقحط عام 1843م [5]ووباء الكوليرا سنة 1849م الذي كان يموت به في الحاضرة 200 شخص في اليوم[6]، فكان هذا التناقص في عدد السكان نتيجة تقلص المساحات المزروعة، وأسهم في الوقت نفسه تعيم الملتزمين من النقاد وكبار الأعيان على حساب الفلاح الذي أعمل أرضه فلم يعد يزرعها[7]. كما عان التونسيون مجاعة حادة تبعت وباء الكوليرا الذي تفشى في البلاد من

---

[1]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص 38.

[2]- محمد الفريني، "تطور البنية العددية والعمرية لغابة زياتين قيادة سوسة من أواخر ق18م إلى بداية النصف الثاني من ق 19م و ملامح تركيبتها النوعية"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، 44، كانون الأول 2011، ص57.

* **القانون:** من أنواع الضرائب المباشرة، وهو أداء خاص بأشجار الزياتين والنخيل ويؤخذ نقدا على كل شجرة في الساحل والجريد، أما الوطن القبلي وضواحي مدينة تونس فقد أخذ شكل أداء على المحصول. ارجع الى: المحجوبي علي، مرجع سابق، ص12.

[3]- محمد بن عثمان السنوسي ، مرجع سابق، ص 141.

[4]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص 43.

* وهي: عشر الزيت، قانون الصاع والبلبة، مقادير الجند، الريالات على الماشية، الضيفة، الصادر و الوارد، الخطية. ارجع الى: مصدر نفسه، ص ص 45-47.

[5]- محمد الفريني ، مرجع نفسه، ص 58.

[6]- أحمد ابن أبي الضياف ،ج4، مصدر نفسه، ص ص 128-133.

[7]- حسن جبار ابراهيم ، مرجع سابق، ص 73.

عام 1852م وحينئذ ارتفع صوت السكان بالسؤال هل الإيالة بحاجة الى قوات مسلحة كبيرة لكي ينفق عليها الباي كل تلك الأموال ؟ واضطر الباي أخيرا الى التخلي عن ثلثي جيشه تقريبا و السبب الحقيقي الذي دفعه الى ذلك هو عجز الحزينة عن دفع مرئيات الجناده وتفتيتهم وكسائهم[1].

كذلك في سنة 1851م رتب أحمد باي قانونا على الزيتون بصفاقس وقراها يؤديه المالك أخصب أم أجدب[2]، فيعبر صاحب الإتحاف بقوله:" وازداد بذلك نقصان الفلاحة حتى كادت تتقطع وبقيت الهناشير مرعي السوائم ومبيت الوحوش، وتفاقم الأمر وعيل المسير وضعفت الطاقة وظهرت الغاية وصارت أزمة الأعشار تأتي من البلدان ، وأكثر الحناشير مكتوب اسمه مقرونا بلفظ أبيض) كناية عن عدم البذر[3].

فبنهاية عهد أحمد باي أخذ عدد السكان بالإيالة يتناقص، كما انخفض عدد الماشيات المحروثة من 80 ألفي إلى 16 ألف وما ذلك لكون السكان صاروا خاضعين لجبايات مفجعة [4].

ثانيا: في عهد المشير محمد باي (1855-1859م

وبعد وفاة المشير أحمد باي سنة 1955م استقدم الوزراء ورجال الدولة[5] ابن عمه محمد باي فبايعوه، فكانمختلف عن أحمد باشا، فرأى أن التخفيف من الجباية والضرب على أيدي العمال هو الأصل الأصيل في سياسة الممالك شرعا وعقلا وطبعا لا سيما في هذه الايالة الضعيفة[6].

فلما أثر ضريبية المجبي (الإعانة) على سائر الذكور القادرينعلى دفعها أبقى على بعض أعشار الحبوب، حيث يقول صاحب الإتحاف :" وأبطلنا

---

[1]- مرجع نفسه، ص 74.
[2]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص137.
[3]- مصدر نفسه، ص 146.
[4]- محمد بن عثمان السنوسي، الرحلة الحجازية، ج2، تح: علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1981، ص498.
[5]- Habib Boularés. Op-cit. p456.
محمد باي هو المشير ابو عبد الله محمد بن حسين بن محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن علي التركي ولد عام 1226ه ، سافر في الامحال ايام عهد عمه احمد باي بويع عام 1271ه/ 1855م، ابنائه: سعيد، حسين، محمد الناصر، اسماعيل، الهادي، ومحمود باي، توفي عام 1276ه/1889م. انظر السنوسي، مسامرات ...، ج1، مرجع سابق، ص ص 146-157.
[6]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص127.

سائر ما كان يفرض على الرؤوس من تباعات المحصولات والدخان والملح والجلد وتوزيعه،،، عدا أعشار الحبوب والزيت وقانون الزيتون والنخيل فإنها زكاة ومكاسب "[1]، فاطمأن الناس عموما وأقبل الأعراب وسكان القرى على شأن الفلاحة آمنين عليكسبهم من الخطايا والضرائب، فحصل الرخاء وتحسن المعاش"[2]،ثم بادر محمد باي بإصلاح العشر التي عوض جمعها تعسفا على مداخيل الصابة بنسبة ما يؤديه تحدد حسب المساحات المبذورة[3]. ثم قام الباي في سنة 1856م بالإعلان عن منشور الفلاحة بعد أن رأى الأعشار ثقلت على منتحلي الفلاحة لتجاوزها حدود المغارم تجاوزا واضحا أفضى الى نقص مرئي بالعين، حتى أن الفلاح في سنة الجدب الذي يحدث بسبب قلة المطر يبيع المواشي وآلات الفلاحة ولا يكاد يخلص في مغرمها المسمى بالعشر، ولا سيما اذا كان ابن عياد ومن على قدمه يقبل العشر لأنه يخلص من الفلاح ضعف ما يقدره الأمناء على فلاحته مع تجاوز أمناء التقدير للحد المشتبه، فأمر الباي كاتبه أحمد ابن أبي الضياف كتابة المنشور لسائر أقطار المملكة[4]، وبما أن الباي له شغف بالفلاحة والشجر المثمر ظهر للباي أن يلزم سائر المسلمين العشر وخفف ما استطاع حتى لا تنفر نفوس الفلاحين [5]ويقول صاحب الإتحاف :"فجعلنا في كل عام عليكل ماشية باعتبار بذرها المختلف باختلاف الأوطان ربع قفيزمن القمح ومثله من الشعير، ومن بذور ربع ماشية تؤدي نصف ما على الماشية ومن بذر ربع ماشية يؤدي ربع ما على الماشية يدفعه الفلاحة في وطنه ويقبله العامل في محل عمله... ولا نلزم الفلاح شيئا زائدا على ما ذكرت سوى أجر المشايخ النظار وهو ريالان على كل ماشية وأجر الكيل والخدمة وتذكرة الخلاص على عادة الرابطة[6] ،ويوافقه صاحب الصفوة فيذكر وكذلك ضبط أعشار القمح والشعير وجعل على كل ماشية قدرا معينا. ثك جعل الباي الخيار للفلاح في أن يدفع عشره حبوبا للعامل أو دراهم وقوم أداء الماشية 50 ريالا لمن أراد دفع عشره ، وبهذا التخفيف

---

[1]- مصدر نفسه، ص 205.
[2]- السنوسي، مسامرات...، مصدر سابق، ص ص 147-148.
[3]- جان قانياج ، أصول الحماية الفرنسية على تونس 1861-1881، تر: عادل بن يوسف ومحمد محسن البواب، دار برق ، د.م، د.س، ص 147.
[4]- انظر ملحق 1 ص 105.
[5]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر نفسه، ص ص 225.
[6]- محمد بيوم الخامس، ج2، مصدر سابق، ص 437 .

استبشرت العباد وإنتعشت الآمال واخظرت الأرض بعد بياضها[1]. كما تصدى محمد باي لإصلاح الأوضاع التي وصلت اليها البلاد ومن أبرز إصلاحاته الإصلاح الدستوري فأصدر عام 1857م وعرف بعهد الأمان [2].

وقد صدر قانون عهد الأمان هذا معلنا عن الحرية والمساواة بين جميع السكان على احتلاف دياناتهم وأجناسهم [3]،وقد خصصت القاعدة الحادي عشر منه أن يحق للوافدين على إيالتنا من سائر أتباع الدول لهم أن يشتروا سائر مايملك من الدور والأجنة والأرضين مثل سائر أهل البلاد بشرط أن يتبعوا القوانين المرتبة التي تترتب من غير امتناع [4].

كما في أكتوبر 1857م جعل الباي ترتيبا لعشر الزيت بالحاضرة بعد أن كان صاحب الزيتون لا يعصر زيتونه كما يريده بل كما يريد منه فقد كان الفلاح يدفع من زيته نحو الخمي أو الربع فحسم الأمر وكتب منشورا حاطب به كل المشايخ الحاظرة وكافة أرباب الزيتون[5]، فأقبلت الناس على غرس الزيتون لا سيما بمرناق...وازداد للشجرة المباركة عناية وأبطل القانون الذي كان على أصول الزيتون أجدب أم أخصب وكادت الغابة ـأن تضمحل فجعل فيها ترتيبا أمنه للحفاظ عليه [6]،فرغب الباي الأهالي وأنشأوا في مدته القصيرة ما ينيف على 60 ألف شجرة في أرض تعرف بعبدي خوجة من مرناق، والنتيجة أنه أسقط من جباية الزيت قدر النصف وبنيت المعاصر فأقبلت الناس على غراسة الزيتون لاسيما بمرناق [7]وازداد كثير من أصوله مشاهدة بالعيان لما خف ثقل مغرمه وحدا في الخاظرة أما غيرها من بلدان المملكة فإنه أبقاه على عادته اذا لم يكن ضرر كبير[8] ، اضافة الى ذلك أمر المشير محمد باي يجذب ماء عين

---

[1]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص 227.
[2]- شوقي عطاالله الجمل، مرجع سابق، ص116.
[3]- الشيباني بن بلغيث، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي 1859-1882م، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1995، ص 50.
[4]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص 244.
[5]- أنظر ملحق 2 ص 105.
[6]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر نفسه، ص252
[7]- محمد بيرم الخامس، ج2، مصدر سابق، ص449.
[8]- أحمد ابن أبي الضياف ج4، مصدر سابق ، ص 252.

زغوانوجقار العظيمة الماء المنهمر لكفاية البلاد مؤونة العطش فجلب الماء في الأنابيب الحديدية الضخمة من بلد زغوان إلى تونس[1]، والقنوات الحجرية الرومانية فوزع الماء بذلك على بيوت المدينة [2]كان ذلك في جويلية 1859م عندما قدم للحاضرة مهندس فرنساوي اسمه كولان ودبر مع القنصل ليوان روش لفائدة نفسه في جلب الماء من زغوان وجقار يمكن وصوله بلا كلفة إلى الحاضرة يأتي بها من فرنسا نيستغني الناس عن مصانع الماء ويشتري منه من يريد شغل الأرض بالأشجار والنبات وتكثر الأشجار وتنمو الفلاحة ويحصل من ثمن ما يباع من الماء أضعاف ما يدفع في جلبه الى غير ذلك مما ينمقه البائع في تحسين مبيعه ولما سمع الباي بألفاظ نمو العمران وشغل الأرض مال إلى استحسانها ورآها صلاح[3]. ويفسر صاحب الصفوة جلب الباي للماء يقول أنه في ذلك مصلحة لأن مائها مالح وغير صالح للشرب يستعمل لتنظيف البيوت ثم عزم الباي بالفلاحة ترغيبا للسكان في العمران الذي اثمر اقبالهم عليها على ما پسردپستدعي جلب الماء الحلو ومالية الحكومة وافية بذلك المقدار لأن الفلاحة ركن ثروة هذا القطر قد تكاثرت في تلك المدة [4]،ويضيف بيرم الخامس: ينشأ منه فوائد الزراعة حول الحاضرة وارسى بدليل أن الباي كان مغرما بحب العمران والفلاحة فارسى معطلة من قلة الماء الحلو[5]، وبحليه ماء زغوان أواخر سنة 1275ه ليبيع منهلأهل الفلاحة خمسة وأربعين ألف ريال في كل يوم ولسان الحال يقول له :" لا تمع في كل ما تسمع" وبذلك أبقى نقل دينه على من بعده"[6].

لكن وإن كان هذا الباي قد خلص الأيالة بإعانة الوزير خير الدين من ورطة الدين الذي أمر به ابن عمه المشير أحمد ليصرفه على العسكر النظامي التونسي باستانيول الا أنه أوقعا في ورطة أكتر وما حسنته الأولى

[1]- السنوسي، مسامرات...، مرجع سابق، ص 151.
[2]- عبد المجيد القصاب، مرجع سابق، ص ص 202-203.
[3]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق ، ص 261.
[4]- محمد بيرم الخامس، ج2، مصدر سابق، ص447.
[5]- مصدر نفسه، ص 445.
[6]- أحمد ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج6، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ص 113.

بسبلة هذا الماء التي هي أعظم أسباب الخراب لأنه أتى به ومزاج الدولة في هرم[1].

النشاط الصناعي الحرفي

ثالثا ـأ ـالضرائب الصناعية

قام المشير أحد باي كذلك بفرض ضرائب على النشاط الصناعي والحرفي، ففي سنة 1840م أحدث لزم الصابون الطري بحيث لا تصنعه ولا تبيعه إلا الدولة وبنى لذلك مصنعا، ورتب على الصابون اليابس الذي يخرج من المملكة أداء على القنطار ويسمى ب" القطرية يدفعه صانعه[2] .أيضا أحدث الباي في سنة 1842م لزمة الجبس وجعلبمقطعه معملا لأن نفقة العساكر ألجأت الباي الى المكوس ونحوها[3].

بناء المصانع

أنجز برنامجا صناعيا متكاملا للقيام بشؤون ذلك الجيش تعهد الى مهندسين فرنسيين لبناء وادارة مصانع عصرية [4]ومتنوعة للأسلحة والذخيرة والنسيج وغيرها [5]كمعمل النسيج ببرية، نيذكر صاحب الاتحاف:" في سنة 1844م بناء دار الملف بآلاتها التي أنشأها الباي حذو قنطرة محمد باي المرادي بطبية، وكان بناؤها على يد أبي عبد الله مير ابن مياد، وهي من المصانع الهائلة والمباني الرفيعة، يحرك الوادي الاتها على أسلوب معجب باعتبار حالة هذه المملكة [6]، إذ كان الهدف منه إنتاج الملابس العسكرية وأنواع من الأتمتة التي يحتاج الجيش اليها، لكن ما لبت أحمد باي أن أما ذلك المصنع الذي بناه يجهد مضن وبأموال طائلة والسبب

---

[1] ـ أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص 263.
اللزمة: يعني إحتكار الباي فروعا من الإنتاج كصناعة الصابون ، الجبس ،الملح ...،وغيرهم.انظر:محمد مقصودة، أوضاع الكراغلة في الجزائر وتونس وليبيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة سوسيو تاريخية مقارنة،رسالةمقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف محمد دادة، جامعة وهران1،الجزائر ،2018-2019ص154.

[2]- احمد ابن أبي الضياف،مصدر نفسه ،ص31.

[3]- نفسه ،ص65.

[4]- جان قانياج،مرجعسابق،ص 147.

[5]- ابراهيم خليل أحمد،مرجع سابق،ص219.

[6]- أحمد بن أبي الضياف،ج4،مصدر سابق،ص ص76-77.

أنه لم يدر عليه ما كان يتوقعه من أرباح نأخذ المسا بالتدهور السريع[1] ، كذلك عندما يلي اليانيمرسى حربي بغار الملح أضاف اليه دار لصناعة السفن حلق الوادي وأحك كا معامل لصنع السلاح وأحملاحه ومستودعات شحنها بالذخائر اخربية وآلات الدفاع[2]، بالإضافة إلى أمره بإنشاء الجفن (قارب) في حلق الوادي والذي خسر على انشائه أموال كبيرة سنة 1257ء وجدبه قبل وفاته[3] وهذا لتكوين أسطول تونسي قوي[4]، كما يقال بعض المحاولات لإصلاح بعض الموانئ وعلى الرغم من تلك الجهود ظلت البحرية التونسية متخلفة وتشكو نقصا في المراكب الحربية والتجارية، إضافة الى كل هذا بقي معمل حميد بالجديدة أيضا مخبزةبتونس ومدبغة ومعمل بارود ومعمل لصهر ومنع المدافع وتتيح التلال استراد التجهيزات والآلات من أوروبا[5]، وفي الأخير كل هذه المصروفات التي حصولها على هذه الأمور المفيدة أعجزت بلا شك ميزانية الدولة[6].

أما بالنسية للصناعات الحرفية كانت محتكرة حيث فرضت حكومة أحمد باي سيطرتها عليها من بيع وشراء، فقد كان موضفو الدولة الكبار هم الذين يودون الخريين بالمواد المستوردة من الخارج[7].

استمرت الإيالة التونسية في عهد المشير محمد باي بالتأخر والاضمحلال في اجادة الصناعة حق ان غالب نياب أهلها شعارا ودثارا والخارج من مصنوعاتها تليق كانشائية وموادها من الخارج ونسج چرة والجيد وخوها وذلك نزر يسير[8] .

كما خصص الغامرة العاشرة من عهد الأمان للوافدين على الإيالة أن يحترفوا سائر الصنائع واخدم شرط أن يتبعوا القوانين مرتبة والتي يمكن

---

[1]- حسن جبار إبراهيم،مرجعسابق،ص 73.
[2]- حسن حسني عبد الوهاب،خلاصة...،مرجع سابق،ص167.
[3]- احمد ابن أبي الضياف،ج6،مصدر سابق،ص111.
[4]- يونس درمون،تونس بين الحماية...،مرجع سابق،ص16.
[5]- جان قانياج،مرجع سابق ص148.
[6]- حسن جبار ابراهيم مرجع نفسه،ص
[7]- حسن جبار ابراهيم مرجع نفسه،ص73.
[8]- أحمد بن أبي الضياف،ج4،مصدر سابق،ص224.

أن ترتب مثل سائر أهل البلاد لا فضل لأحدهم على الآخر بعد انفصالهم عن دولهم بكيفية دخولهم تحت ذلك[1].

ب- ضرائب النشاط التجاري:

فرض المشير أحمد باي ضرائب على المجال التجاري حيث رتب سنة 1840م أداء على الصابون اليابس يخرجه صانعه وإذا خرج يؤدي مشتريه السراح، كذلك أحدث لزمة الصاع فيقول صاحب الاتحاف : "وهو أن بائع الزيت بغير الحاضرة يؤدي صاعا على كل مطر، أما بيعه بالحاضرة فله قانون مخصوص في فندق الزيت لا يقبل الزيادة"، أيضا زاد في سعر الملح الذي لا تبيعه الا الدولة زيادة بالغة[2].

غير أن التجهيزات وخاصة العسكرية - وبالنظر لحالة القطر - قد أثرت في مالية البلاد وأضعفت مواردها، فاضطرت الحكومة الأحداث ضرائب جديدة على الصادر والوارد ومكوس على الأشياء المباعة لسد عجز ميزانيتها [3]، وفوق ذلك احتكرت الدولة بيع مواد مختلفة كالملح، الدخان، الجلد والصابون[4] " فيقول صاحب الإتحاف :" كما قام الباي بترتيب المحصولات" في بلدان الإيالة وحجر بيع الدخان بالحاضرة وبلدانها وأسواق عرباها بحيث لا تبيعه لدولة ولا يشتريه غيرها من أهل زراعته وسعر أنواعه في الشراء من الفلاحة كما سعر بيعه[5].

وهكذا خطوة خطوة ومن ضرورة إلى ضرورة وجد ابن عياد نفسه جابي الحكومة التونسية العام اذ أنه زيادة على قائمة لزماته الطويلة يجب اضافة

---

[1]- مصدر نفسه،ص240.

مطر : هو مكيال الزيت يتراوح بين 18 و28 كيلو و يختلف باختلاف الجهات. انظر: أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص 31.

[2]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر نفسه، ص 31.

[3] -عبد المجيد القصاب،مرجع سابق،ص202.

[4]- شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 115.

** **المحصولات :** من الضرائب الغير مباشرة وهي أداءات محلية تضم المكوس على اختلاف أنواعها والحروبة على الكراء، تفرض هذه الأداءات على كل منتوجات الفلاحة وتربية المواشية والصناعة التقليدية (الحبوب - الصوف - الجلود لأصنافها الصابون – الشاشية)، كذلك اللزامات على البارود، الملح، التبغ، موكلة للزامة الذين عرفوا بعدم أمانتهم وباتباعهم لأقذر الطرق لجمعها. ارجع الى: علي المحجوبي، مرجع سابق، ص12.

[5]- عبد المجيد القصاب، مرجع سابق، ص 202.

لزمة الأجر والجير والحبس" أي ما يعادل 76 لزمة بما فيها أهم اختصاص فكان مسؤولا عن جمع الضرائب وعقد الاتفاقيات لشراء ما تحتاجه الدولة وما يحتاجه الباي بحيث تمكن خلال عشرين عاما من توليه مسؤولياته جمع مبالغ طائلة تقدر بالملايين لحاسبه و حساب شريكه (مصطفيخزندار) [1]، فعندما رتب الباي سنة 1840م مغارم على ما يباع من الطعام والبقول ونحوها (المحصولات)بعد أن كانت تشهد الإيالة إهمال فعممها في المملكة بغاية تكثير العسكر - من غير التفات إلى طاقة المملكة - ثارت عليه وطن الأعراض فلما بلغ الخبر للباي توجه نحو الأعراض مجهزا بالعسكر النظامي مرورا ببلدان الوطن القبلي وبلدان الساحل وصفاقس فحاسب وكلاء أعشار الزيت واستخرج منهم أموالا جزاءا على ما فعلوه، كما طلب من أعيان الأعراض مالا ليكون مظهرا المرضاته عنهم بقيمة 600ألف ريال [2]، ضف إلى ذلك لحق الأهالي ضيم كبير من تصرفات وجور الملتزمين وأعوانهم [3]ففي أوت 1841م يقول صاحب الاتحاف :" التزم محمود ابن عياد وظيفة دار الجلد ب 700 ألف ريال وقد كانت ب 300 ألف ريال، ومحصل هذه الوظيفة أن سائر جلد البقر بالمملكة تأخذه الدولة من الجزارين وغيرهم بتافه لا عبرة به، وكأنه في مقابلة زكاة البقر، ثم يدبغ بدار الجلد ويباع لأهل صناعته بالمزايدة في مجتمع بالحاضرة يعرف بحلقة النعال ويباع منه ما زاد على احتياج المملكة لخراجها ولا يتصرف في ذلك غير من يلتزمه من الدولة، كذلك عام 1842م زاد من ثمن الجبس مالا يجحف كل الإجحاف[4]، لتزداد حالة البلاد تدهورا عندما وقع قحط بالإيالة بسبب ارتفاع أسعار الحبوب ارتفعا كبيرا، فوجه الباي أوامره إلى الموانئ كافة بمنع تصدير تلك المادة، هنا أظهر قنصل سردينيا بتونس ردة فعل غاضبا تجاه قرار الباي وكتب رسالة حمل فيها للباي الخسائر التي لحقت بتجار بلاده فأنتهى الباي الخلاف بدفع الحكومة التونسية لتجار سردينيا تعويضات عن خسائرهم[5]"،

---

[1]- سمير أبو حمدان، موسوعة عصر النهضة خير الدين التونسي، دار الكتاب العالمي، لبنان، 1993،ص 29.

الأعراض هي جميع المنطقة الواقعة بين قابس والحدود الطرابلسية. ارجع الى: الفاضل بن عاشور الطاهر، تراجم الأعلام، الدار التونسية للنشر، تونس، ا 1970، ص 37.

[2]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص ص 38-41.

[3]- حسن حسني عبد الوهاب، الخلاصة...، ص 167.

[4]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص 55.

[5]- حسن جبار ابراهيم ، مرجع سابق، ص72.

فيذكر صاحب الإتحاف: "في سنة 1843م وقع جدب بتونس وارتفعت أسعار الحبوب وضجت العامة من كثرة تسريح إخراج الحبوب من المملكة لأجل دخل ما على ذلك من السراح فلزمه فكتب إلى مراسي العمالة بمنع مسؤولية إخراج القمح والشعير ... فاعترض قنصل سردينيا من هذا المنع...وأمر الباي بدفع ما حصل للتجار من الخسارة"[1].
فاقتصرت صادرات تونس على منتجات البلاد الزراعية والحيوانية، أما وارداتها فكانت كثيرة ومتنوعة وكانت البضائع تحمل بحرا في سفن من حلق الوادي، أما في الطرق البرية فتحمل على عربات أو على ظهور الدواب[2].

عمل المشير أحمد باي على ابطال تجارة العبيد وتحريرهم من البلاد التونسية بعملية تدريجية ففي أوت 1841م أمر بمنع تصدير العبيد ثم في سبتمبر من نفس السنة منع بيعهم في السوق فلاقت تلك الخطوة الاستياء من أوساط الأغنياء، الذين كانوا يمتلكون أعدادا كثيرة منهم كما أنها أوقفت تجارة مربحة للغاية وقضت على نشاط بعض التجار ورجال البحر وقد غضب بعض رجال الدين على قراره[3]. لكن رغم تلك المعارضة لم يتوقف، حيث يقول ابن الضياف:" أنه في سنة 1842م منع خروج المماليك من العمالة للتجارة فيهم وكتب ذلك لمراسي المملكة، ليضيف اصدار أمر آخر في نفس السنة بأن المولود في المملكة التونسية حر لا يباع ولا يشترى[4]، وكان منع الباي لبيع الرقيق يعني مدى رعايته واهتمامه جذه الفئة[5]، وأخيرا في سنة 1846م أصدر الباي قراره الحاسم بعتق جميع العبيد ومنع امتلاكهم في سائر أنحاء تونس[6]. أما بخصوص الرق في عهد محمد باي فقد تراجع في قرار ابن عمه أحمد بخصوص الغاء الرق [7]و يقول ابن الضياف :" يبقى المنع عليكم وأنا املك حيث أنه لما لم يجد من يأتي له بعبيد أرض السودان عاجلا أخذ من أولاد الذين

---

[1]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص ص 74-76.
[2]- حسن جبار ابراهيم ، مرجع سابق، ص10.
[3]- مرجع نفسه، ص 75.
[4]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص87. انظر كذلك: نور الدين الدقي، "العبودية في تونس بين المنع والاباحة1846-1890م"، تونس، دس، ص3.
[5]- التميمي عبد المجيد، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس - الجزائر - ليبيا من 1816م إلى 1871م، تق: منترانروبار، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس،1972م، ص 202.
[6]- حسن جبار ابراهيم، مرجع سابق، ص75.
[7]- 75 نور الدين الدقي، مرجع سابق، ص7.

كانوا مملوكين في نواجع العربان و بالغ في الغصب على ذلك كما أخذ بنات الأحرار المستولدات من الإماء السود بل أخذ المحصنات من تحت أزواجهن للخدمة بداره على حال فضيع واذا أتاه زوج المرأة شاكيا محتجا برسم صداقه يأمر باش حانبه بتمزيقه قبل قرائته[1].

أما محمد باي فكان عكس المشير أحمد باي فقد تصدى لمواجهة الوضع المتأزم الذي كانت تشكو منه البلاد ولم يلجأ لحل الأزمة المالية إلى سياسة الاستدانة أو إلى ارهاق الأهالي بالضرائب بل بالعكس فإنه خفف من الجبايات عموما وأسقط ما كان على الأهالي من ضرائب [2]فيذكر صاحب الاتحاف :" وبعد ذلك جعل الباي التخفيف من الجباية والضرب على أيدي العمال وهو الأصل الأصيل في سياسة الممالك شرعا وعقلا وطبعا، لاسيما في هذه الايالة المسكينة فاسقط من الجباية المرتبة على بيع الحيوانات والأنعام أكثر من نصفها وقد كانت ربع الثمن[3]."

واصل الباي تخفيف الجباية بالتنقيص تارة وبالإبطال تارة أخرى كضريبة المغنيين وأصحاب آلات الموسيقى رغم أن الوزراء قاموا بتنبيهه، حيث قالوا له الوزراء : "بأن مصروف البلاد والحالة هذه كثير واذا نقصت الجباية فمن أين المصرف؟" فأجابهم : "بأن ابقاء الجباية بأيدي العمال على هذه الكيفية وهو أن ما يدعونه من الخسارة في اللزمة يوزعونه على أهل عملهم باجتهادهم من غير تعقب ولا وازع، هم المدعون للخسارة وهم الحكام على توزيعها، هو الذي نقص عمران بلدنا حتى أخذت سبيل الخراب، ولا بد من ترتيب أداء يستوي فيه كل الناس معلوم المقدار ونسميه إعانة واذا عاد الى المملكة عمرانها نستغني عنه"[4] وأمر بإنشاء منشور الإعانة[5] ، وبذلك أسقط الباي أغلب الأداءات والمغارم المحدثة لموازنة واردات الحكومة بمتصرفاتها وعوضها بضريبة تعرف بالمجبي وقدرها 36 ريال يدفعها في كل سنة الرجال القادرون من سكان المملكة وأصدر أمرا بذلك سنة 1272ه/1856م وأقنعهم بأن هذه الضريبة مؤقتة تبطل متى تحسنت الحالة المالية غير أن السكان استمر على دفعها

[1]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4 مصدر سابق، ص 266.
[2]- شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 118.
[3]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص 187.
[4]- مصدر نفسه، ص203.
[5]- انظر ملحق 3 ص 106.

مكرهين ولم تسقط فيما بعد[1]، فيقول صاحب الاتحاف :" وأبطلنا سائر ما كان يفرض على الرؤوس من تباعات المحصولات والدخان والملح والجلد والاتفاق والديوان والكبش وابجي وخيل الشوك وثيران الكرستة وفرس العادة والضيفة وسائر الطوارئ وغير ذلك من سائر ما أعتيد فرضه و توزيعه عدا أعشار الحبوب والزيت وقانون الزيتون والنخيل فإنها زكاة ومكاسب ... وهي ثلاثة ريالات في كل شهر يعين بما كل ذكر بالغ من أهل ايالتنا مصلحة بلاده"[2]، ويوافقه بيرم الخامس في القول :" أنه أسقط جميع المظالم على الأهالي وعوضها بأداء واحد على كل فرد ذكر بالغ قادر على السعي وهو 36 ريالا في السنة أي 3 ريالات في الشهر وهي قدر فرنكين الذي لا يجحف بأحد مع إمكان ضبطه وضبط أدى العمال عن التجاوز فيه مع تحجير العقوبة بالمال وعمم ذلك الأداء على جميع القبائل والبلدان بالسواء[3]"، ماعدا سكان تونس وسوسة والمنستير والقيروان وصفاقس من هذه الضريبة فقد أعفوا منها"[4]، ويضيف صاحب الاتحاف :" ولا يستثني من هذه الاعانة أحد من أهل الخيام والمداشر والقرى والبلدان عدا نواب الشريعة من قضاة ومفتيين فإعانتهم بتقوى الله في نوازل المسلمين ...أما مشايخ العربان جعلنا لكل شيخ أربع ريالات ، ثلاثة له وريالا خلاصه على كل مائة، أما المدن وهي القيروان وسوسة والمنستير وصفاقس فحسب الأصيل بما من الإعانة ما أبقيناه بما من اللزم المعتادة، وقد توعد من خالفه فخافته العمال وقصرت عن الظلم أيديهم وكاد أن ينقطع تعديهم[5]"" فاطمأن الناس عموما وأقبل الأعراب وسكان القرى على شأن الفلاحة آمنين على كسبهم من الخطايا والضرائب، فحصل الرخاء وتحسن المعاش وأباح بيع اللحوم على تراضي المتابعين

---

[1]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، مرجع سابق، 171.

[2]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص 205.

[3]- محمد بيرم الخامس، ج2، مصدر سابق، ص436.

[4]- بلقاسم بن محمد بن جراد، مرجع سابق، ص87.

[5]- أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص 205- 208.

من أسباب صدور قانون عهد الأمان مقتل اليهودي الذي سب مسلما في دينه والذي كان في حالة سكر فأمر الباي بقتله أرجع الى :عبد الكريم عزيز، نظال شعب أبي تونس 1881-1956م ، مركز النشرالجامعي ، تونس2001م.وكدلك أحمد بن أبي الضياف ،مصدر نفسه،ص ص 233-234.

فتنافس القصابون في إختيار الغنم والبقر التي يدبحونها[1]،فيقول صاحب الإتحاف :وغلت أسعار البقروأكرية الأرضيين حتى أن البعض أكرى هنشيرة بقدر ما إشتراه به زمن الفلاحة[2] .

منح المشير أحمد باي عام 1857م امتيازات وحقوق للتجار الأجانب عندما سن القانون الأساسي الذي ساوى فيه السكان في الحقوق العامة على إختلاف أديانهم وقد سمي قانون عهد الأمان[3]،من أجل تنظيم العلاقة بين الباي والرعية التي اضطربت لأسباب وخلفيات سابقة ،إذ أن القانون مبني على 11 قاعدة[4]،وتقرر العمل به بحظور نواب الدول الأروبية (القناصل) وكبراء الموظفين والأعيان يوم20محرم127ه/9سبتمبر1857م[5].ويدل اصدار محمد باي لهدا القانون انه رجع الى الإرتباط بالدولة العثمانية بإعتبار هذا القانون صورة من وثيقة حقوق الإنسان وامتداد لقانون التنظيمات الخيرية[6].ولقد استفاد منه اليهود والأجانب دون غيرهم من الرعايا .

ج- العملات:

عندما عاد أحمد باي الى تونس من سفره نحو فرنسا عام 1846م وضع مشروعات كان يرجو من ورائها تدعيم أركان دولته وتنظيمها على أساسجديد يضمن لها التقدم والرقي ويحفظها من اعتداء الدول عليها[7]،فأسس البنك الوطني التونسي أو ما يعرف بدار المال وهدا بهدف إصدار عملة ورقيةوتمويل المؤسسات الإقتصادية.وفي سنة 187 طبع الباي سكة من الفضة خالصة صرفها [8]ريالات تونسية صغرى من الرائج في العمالة، كما ضرب قطعا من النحاس للإستعانة به في كسور الريالات

[1]- محمد بن عثمان السنوسي،مصدرسابق،ص 147-148.
[2]- أحمد بن أبي الضياف ، ج4،مصدر سابق، ص 228.
[3]- عبد المجيد القصاب،مرجعسابق،ص ص 202-203.
[4]- ملحق، 4، ص 106.
[5]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة ...، مرجع سابق،ص 172.
[6]- يونس درمون، الإتجاهات...،مرجع سابق ص 36.
[7] -الحبيب تامر ، مرجع سابق ،ص 23.
[8]- أحمد بن ابي الضياف،ج4، مصدر سابق ، ص ص 113- 114.

والتسهيل على الضعفاء .كما يعتبر محمد باي هو أول من نقش سكة تونسية باسمه[1]من الذهب والفضة والنحاس .

المبحث الثاني :إصلاحات محمد الصادق باي ووزيره خيرالدين التونسي في المجالين الزراعي و الصناعي.

من محمد باي الى محمد الصادق باي الذي تولى الحكم بعد وفاة أخيه ،حيث كان له دور مؤثر في تغير الكثير من الأوضاع الداخلية للبلاد من خلال تطبيق ما وضعه أسلافه من اصلاحات عديدة لاسيما فيما يخص المسائل السياسية والدستورية وحتى الإقتصادية.اذن فماهي الإصلاحات الإقتصادية المطبقة خلال حكم محمد الصادق باي 1859-1881م ؟وكيف أثرت على البلاد التونسية والأهالي بشكل خاص ؟.

أولا :في المجال الزراعي و الصناعي:

كانت تونس في عهد محمد الصادق باي تعاني تعاني ضعف الإنتاج الزراعي اذ أصبح الفلاحون مرغمين على بيع مواشيهم حتى يمكنهم دفع الأداء وارتفعت أثمان الحبوب والمحاصيل الغذائية حتى أصبح من المؤلوف أن يساق المئات من المفلسين الى السجن كل يوم[2] ،وهذا يرجع لعدة أسباب:

-دستور عهد الأمان الذي أصدره المشير محمد الصادق باي عام 1861م الذي ضمن من خلاله الإمتيازات للأجانب المستوطنين (الفرنسيين والإطاليين)فكان من نتائج هده الإمتيازات هو التغلغل الرأسمال الأجنبي في البلاد [3].

---

[1]- بلقاسم بن محمد بن جراد ،مرجع سابق،ص 86.
محمد الصادق باي ولد عام 1229هـ/1815م تولي الحكم بعد وفاة أخيه1859-1881م تولى قيادة الأمحال خلال حكم أخيه محمد باي ، قام بالعديد من الإصلاحات في مختلف المجالات ، توفي عام1882م،ارجع الى السنوسي، مرجع سابق، ص ص 159-200.

[2]-فارس العيد،"أثر مقاومة المقرانيين وانتفاضة الصبايحيةوالكلبوتي في فرض الحماية على تونس"،مجلة الأكاديمية للدراسات الإجتماعية،ع18، الجزائر،جوان 2017، ص 42.

[3]- حسن علي حسين مصيرع بداية التغلغل الأروبي في تونس وفق المخططات الإستعمارية ،"مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية،ع25،بابل،2017،ص 823.

-كذلك ثورة علي بن غداهم1864م ، التي تركت مخلفات أثرت سلبا على الفلاحة والزراعة .ولم تنته الا وكانت المجاعة والأمراض قد أهلكت الناس ،وقضت الحروب الداخلية على الباقي [1] ،كما تعرضت البلادعام 1865م الى ظهور مرض الكوليرا مما نتج عدة وفيات والهجرة من البلاد[2].

مما جعل الصادق باي يفرض ضرائب على الزراعة خاصة الزيتون بالساحل وأشجار النخيل بالجريد في أواسط ديسمبر 1866م[3] .

اصلاحات خير الدين التونسي في المجال الزراعي

بعد أن أعفي مصطفى خزندار من منصب الزوارة عام 1873موالذي شغله لمدة 36 سنة معاصرا بدلك البايات الثلاث (أحمد،محمد،محمد الصادق باي)[4]تولى خير الدين التونسي رئاسة الوزارة مكانه وقد فرح الأهالي به ،حيث بدأ بعلاج المشكلات اللإجتماعية، السياسية ،القضائية وحتى الإقتصادية التي كانت تعاني منها البلاد التونسية [5]، فوضع خطة إصلاحية كانت كالآتي:

- وضع اول مجلس صحي بالحاضرة لمراقبة الأمراض الوبائية ثم التفت بعدها الى الفلاحة فسن لها قانونا ملائما لمصالح القطر[6]،وهو قانون يحتوي على ثلاثة وسبعين فصلا بتاريخ 13 أفريل 1874م [7].
- خفف الضرائب ونظم طرق تحصيلها وأخذ بالشدة من تلاعب فيها.
- أسقط المغارم على أهل الساحل ووحد فائض ديونهم ووزع ساحة الأراضي الزراعية المبذورة بالمملكة من 60 ألف هكتار الى نحو

---

[1]- الهادي التيمومي ، كيف صار التونسيون تونسيين رحلة حول معاصر في رحاب التاريخ ، دار محمد علي الحامي، د. س، ص 152.
[2]- . عبد المجيد القصاب، مرجع سابق، ص 203.
[3]- أحمد بن أبي الضياف ،ج6، مصدر سابق ،ص ص 86-87.
[4]- بلقاسم بن محمد بن جراد، مرجع سابق، ص 87.
[5]- شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق 124.
[6]- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة... مرجع سابق، ص ص 176-177.
[7]- مجموعة من الباحثين، مرجع سابق، ص ص 131-136.

المليون هكتار [1]،ومنح لكل فلاح قطعة أرض ونفذ البرنامج خاصة بمنطقة زغوان[2] .

- منح الإمتيازات للأجانب لإستغلال الأراضي الزراعية لكنه لم يوفق في هذا الإختيار
- ألغى الضرائب على الأراضي الزراعية التيي تباشر زراعة الزيتون والنخيل لمدة 20سنة .
- أوقف الحملات العسكرية السنوية لجمع الضرائب .

لاقت هده الإصلاحات العظيمة تأديدا شعبيا تلقائيا من طبقات الأهالي،لأنه نقل البلاد من حالة ضيق وكرب الى حالة أمن ورخاء،لكن رغم ما حققه خير الدين في مختلف الميادين من نجاح إضطر بعد 4 سنوات من توليته الحكم الى أن يطلب اعفاءه بسبب الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك له خاصة من مصطفى بن اسماعيل الذي نال الحظوة عند الباي وكان تخليه عن الحكم سنة 1877م[3] .

ثانيا – في المجال الحرفي والصناعي :

كان لنظام الإمتيازات والمعاهدات الامتكافئة آثار سلبية على الإقتصادالتونسي وتحديدا صناعة الأقمشة الشاشية والمعادن التي شهدت تزاحما واضحا أمام منافسة الأقمشة الأروبية[4]،فأدى غزو أقمشة ليون الحريرية وأقمشة مانشيستر القطنية للأسواق المحلية الى إفلاس الحاكمين التونسيين[5]،وبعد أن كانت قيم الصادرات الشاشية تصل الى3 ملايين فرنك فرنسي خلال الفترة 1861-1863م نجدها تنخفض لتصل الى250.000ألف فرنك سنة1875م[6]. وزاد من سوء الحالة أن معظم

---

[1]- . عبد الكريم العلياوي ، "خير الدين باشا التونسي، " ع14، مجلة الإتحاف، 1 مارس 1988، ص 181.

[2]- علي البهلوان ، تونس الثائرة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص 27.

[3]- شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 125

[4]- رابحة محمد خضير ولى عبد العزيز مصطفى، التجربة الإصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق 1859-1881م (دراسة في طبيعتها وأبعادها)، Route January2019. Educatoinal and Social Science Journal،voulunne6 (2) ، مرجع سابق، ص 23.

[5]- علي المحجولي، مرجع سابق، ص 19. رابحة محمد خضير ولى عبد العزيز مصطفى ، مرجع نفسه، ص 23. د زاهر رياض، مرجع سابق، ص 129.

[6]- رابحة محمد خضير ولى عبد العزيز مصطفى ، مرجع نفسه، ص 23.

المقيمين الأجانب كانوا من أحق الطبقاتوانتشروا في البلاد الداخلية وعملوا في كل الحرف فساهموا جميعا في خراب البلاد إقتصاديا[1].لكن عندما تولى خير الدين الوزارة بدل جهوده لإحياء الصناعات الوطنية التي كانت قد أخدت في الإندثار[2]خاصة الصناعات المغربية كصناعة النقش على الجص المطلي على الحيوط والقباب التي هي أغرب الصناعات التونسية والمغربية في البناء وقد انعدم صناعتها من البلدان[3]، فكان يأتي بمهرة الصناع من البلاد ويعهد إليهم تعليم طائفةالشبان[4] .

الأسلوب والنقد

يمتلك هذا المصدر أهمية بالغة حيث يمكن إعتباره عريضة أراد المؤلف أن يتوجه بها الى الأمه عامة وللشعب التونسي خاصة فله قيمة تاريخية بارزة وذلك لتغطية أحداث مهمة من التاريخ التونسيسياسية وإجتماعيةوإقتصادية ،كما كشف الواقع الذي عاشته تونس خلال القرن 19م.إعتمدإبن أبي الضياف في تدوينه لكتابه أسلوب لا يبعث على الملل ،وجاءت ألفاضه واضحة تتخللها ألفاظ باللغة العامية كما أسلوبه فقد سلك أسلوب الأقدمين في التأليف ، حيث حاول التحدث عن كل شيئ هذا ماجعله يقع في الإكثار من الحشو والإستطراد بالرغم من هذا لا يكتنف أسلوبه الغموض وجاءت مصطلحاته قابلة للإستيعاب.

إن ما ميز هذا المؤلف أسلوبه المتين الذي دل على أنه كان ضليعا في الكتابة، عارفا ومذللا لأدق تفاصيله ، وكان المؤلف ملازما لموضوعه،فايجابيات الكتابفاقت سلبياته اذ راع التسلسل الزمني واعتمد على الملاحظة والمشاهدة بإعتباره شاهد عيان على الواقع، فكان دقيقا في معلوماته وحاول تحري الموضوعية والمصداقية في كتابه الإتحاف وهذا نلاحظه في سرده لأحداث البايات الحاكمين لتونس كونه كان كاتب البلاط إذ نقل لنا صورة دقيقة عن معاملاتهم ضد الرعية دون تحيزالا أن هدا

[1]زاهر رياض،.مرجع سابق، ص 129
[2]- شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 125.
[3]- محمد بيرم الخامس، ج2، مصدر سابق، ص 74.
[4]- أحمد أمين، مرجع سابق، ص 169.

مانشهده في بداية كتابه الذي بين أيدينا،لكن في الصفحات الأخيرة من موسوعته نلاحظ بعض التحيز والتحدث عن البايات بالسلب ، وقد يعود هذا الى نفيه من البلاط وذلك عام 1866، بعد تحريره لنص عهد الأمان ، لكن كل هذا لا ينقص من قيمة هذه الموسوعة باجزائه الثمانية .

قدم لنا هذا المصدر بأجزائه معلومات قيمة ساهمت في سد حلقات مفرغة من التاريخ التونسي .

.

الخـــــــــــاتمـــــة

من خلال دراستي لموضوع " الحياة السياسية والإجتماعية و الإقتصادية خلال القرن 19م، واعتمادا على ما جاء في كتاب إتحاف أهل

الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لأحمد ابن أبي الضياف" توصلت الى مجموعة من الإستنتاجات مفادها:

- يعتبر أحمد ابن أبي الضياف المفكر ورجل الدولة والكاتب والمصلح والشخصية الفاعلة فله منزلة تاريخية وسياسية جعلته يحظى بمكانة مرموقة في أواسط البيت الحسني.
- عاصر أحمد بن أبي الضياف أحداث القرن 19م الفترة ماقبل الحماية فكان شاهد على فترة حكم الأسر الحسينية هذا ما ساعده بأن يكون مؤرخا لتدوين تاريخ تونس .
- يعد كتاب الإتحاف المصدر الأصيل لتاريخ تونس لغناه بالوثائق واحتوائه على معلومات تاريخية واصلاحية وأخبار في مختلف الجوانب والمجالات ما جعله يتمتع برتبة خاصة لا يشاركه فيها أي كتاب تاريخي آخر، حيث جمع لنا تاريخ تونس من الفتح الإسلامي حتى الثلث الأخير من القرن 19م(العهد العثماني) وإمتاز هذا الكتاب أكثر بوفرة الأخبار عن الدولة الحسنية خاصة والمؤلف عاش فترة منها وشهد الكثير من حوادثها .
- عرض لنا تطورات المجتمع التونسي في مختلف الجوانب السياسية ،الإجتماعية، العسكرية ، الإدارية ، الإقتصادية، مع تقديمه لنا آراءه السياسية الموافقة للعدل والعمران،كما أعطى صورة مفصلة عن الأوضاع اللاإقتصادية خاصة لما آلت إليه من تذبدب في فترة ما قبل الحماية .
- الأوضاع السياسية شهدت صراعات سواء أهلية على السلطة أو مع الدول الخارجية (الجزائر ، طرابلس الغرب ، الدول الأروبية...) فزعزعت هده الصراعات والحروب إستقرار أحداث القرن 19م.
- شهدت تونس حركة إصلاحية منتصف القرن 19م ،حيث كانت بدايتها من حكم أحمد باشا باي (1855-1837م)الذي صرف كثيرا من أجل اصلاح الجيش والتعمير، ثم تبعه محمد باي (1859-1855م)الذي أزال ما كان يقوم به ابن عمه أحمد باي من أمور ،فنقص من العسكر ولم يبقى الا الضروري وبذل جهده على تنمية الأوضاع في تونس وأصدر قانون عهد الأمان عام 1857م ،للإصلاح الا أنه لم يفلح لأن هذا العهد فتح لتونس الأبواب لتدفق الأجانب عليها .
- تدهورت حالة البلاد الإقتصاديةأكثر في عهد محمد الصادق باي (1859-1881م) مما جعل شخصية خير الدين المصلح المرشد للباي يظهر ،

فتحسنت الأحوال قليلا، فقد إعتنى بالفلاحةبإعتبارها العمود الفقري لإقتصاد البلاد.

- فترة تولي خير الدين الوزارة 1873م ، من أزهى الفتات التي مرت بها فترات تونس، كان إصلاحه مستنبط من الغرب وحاول الإحتفاظ على كل ما هو تونسي ،الا أن مدته كانت قصيرة 1877م.
- الإمتيازات الفرنسية هي حجر الأساس لإستعمار فرنسا أقاليم الدولة العثمانية منها تونس .

وبهده الإستنتاجات التي قدمتهايمكن القول أنه قد حاولت الإجابة عن الإشكالية المطروحة في المقدمة قدر المستطاع وتقديم صورة عن الحياة السياسية والإجتماعيةوالإقتصادية بتونس خلال القرن 19م،من كتاب الإتحاف لإبن ابي الضياف ، لأن هذا الموضوع في غاية الأهمية لما يحتويه من أحداث تاريخية وإصلاحات في كل المجالات ، الا أنني لم أفي بالموضوع حقه وما هي الا محاولة متواضعة منا لإزاحة الغموض عن فترة من فترات تاريخ تونس مما يتطلب من الباحثين المزيد من البحث والدراسة في هذا الموضوع وتوضيح بعض النقاط والتوسع فيها أكثر لما جاء في مصدر الإتحاف .فإن وفقنا فمن الله فله الشكر والحمد وإن أخطئنا فمن أنفسنا والشيطان.ويبقى هذا العمل قابل للإرشاد والتوجيه والنقد.

قائمة الملاحق

ملحق(1): مقتطفات من منشور الفلاحة1856م:

"أما بعد ،فإن عنايتنا ،...لم تزل مصروفة إلى زيادة العمران ،...وظهر لنا من أسبابه التخفيف على أهل الفلاحة ،... ورأينا القانون في العشر لا يخلو من إجحاف،...والعشر حق الله على عباده ...وهو من قاعد الإسلام،...فجعلنا في كل عام على كل ماشية باعتبار بذرها المختلف باختلاف الأوطان ربع قفيز من القمح ومثله من الشعير،...ومن بذر ربع ماشية يؤدي ربع ما على الماشية، يدفعه رب الفلاحة في وطنه ...الاّ الأوطان الجاري عملها بالدفع بالرابطة ....ومعيار القبول هو الوبية التي أحدثناها بالرابطة ...قطعا لتطفيف الكيل ....وإنما كل عامل يحقق لنا مقدار ما في عمله من الفلاحة .....يوجههم...وهم مشايخ العمل ...ولا يتعطل أرباب الفلاحة في زرع درسهم ...ولا نلزم الفلاح شيئا زائدا على ما ذكر ...وكتب ديسمبر 1856م"

أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص ص225-227.

ملحق(02): مقتطفات من منشور ترتيب الزيت1857م :

"...وقد فرغنا من ترتيب أعشار الحبوب على حسب ما خففناه، وأجرينا العمل بمقتضاه، ونظرنا الآن في عشر الزيتون فوجدناه مجحفا بأربابه ..فأسقطنا سائر ما اعتيد على المعاصر من المسمى بالحقوق والسخارة والصرفة ...أن نرتبه على عشرة أمور : الأول :أن الفلاح لا يؤدي من زيته الاّ الجزء العاشر فقط، الأمر الثاني :أن يجعل نظارا وعدولا في المعاصر بحاضرتنا التونسية مع رياسنا ....، الأمر الثالث : أن الفلاح يدفع كراء الجمل صاعا واحدا من الزيت على كل إدالة ...، الأمر الرابع :أن الادالة تكون بثلاثين شامية فقط ... الأمر الخامس: أن الفلاح لا يلزمه خدمة الخمسة اطرق ،... الأمر السادس :يدفع الفلاح على كل إدالة حب قلة زيت واحدة بمعيار المعصرة الذي يأخذ به الفلاح زيته ....، الأمر السابع : أن الفيتورة بعد أن يستوفي ربها عصرها بما يزيد ..، الأمر الثامن: لكل واحد من رعيتنا أن يبني معصرة من غير منع ....، الأمر التاسع : أن الخواسر تكرى على العادة المقررة، وبها يأخذ الفلاح الطريق في العصر ... الأمر العاشر: أن سائر ما يتعلق بإجراء هذه الأمور، ...يكون نظره لمشايخ البلاد الثلاثة وشهود الغابة والأمناء والأعيان من الفلاحة...وكتب الأربعاء 30سبتمبر 1857م".

أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص ص 250-252

ملحق (04): مقتطفات من قواعد دستور عهد الأمان 1857م:

".....وتأسيسه على قواعد: الأولى: تأكيد الأمان، لسائر رعيتنا وسكان إيالتنا على إختلاف الأديان ،...الثانية: تساوي الناس في أصل قانون الأداء المرتب أو ما يرتب ،..الثالثة :التسوية بين المسلم وغيره من سكان الايالة في الاستحقاق .... الرابعة: أن الذمي من رعيتنا لا يجبر على تبديل دينه ولا يمنع من اجراء ما يلزم ديانته....الخامسة: لما كان العسكر من أسباب حفظ النوع.... السادسة: أن مجلس النظر في الجنايات، اذا كان الحكم فيه بعقوبة على أحد من أهل الذمة، يلزم أن يحضره من نعينه من كبرائهم ... السابعة: أن نجعل مجلسا للتجارة برئيس وكاتب وأعضاء من المسلمين ... الثامنة: أن سائر رعيتنا من المسلمين وغيرهم، لهم المساواة في الأمور العرفية والقوانين... التاسعة: تسريح المتجر من اختصاص أحد به، بل يكون مباحا لكل أحد ...العاشرة: أن الوافدين على إيالتنا لهم أن يتحرفوا سائر الصنائع والخدم، بشرط أن يتبعوا القوانين المرتبة، والتي يمكن أن تترتب، مثل سائر أهل البلاد ....الحادية عشر: أن الوافدين على إيالتنا من سائر اتباع الدول لهم أن يشتروا، سائر ما يملك من الدور والأجنة والأرضين مثل، سائر أهل البلاد، بشرط أن يتبعوا القوانين المرتبة والتي تترتب من غير امتناع ...20 محرم الحرام فاتح سنة 1274هـ".

أحمد ابن أبي الضياف، ج4، مصدر سابق، ص ص242-244.

ملحق(08): اهتمام الباي بغراسة الزيتون والنخيل.

" أما بعد فإنه لما كان الزيتون والنخيل بمملكتنا من الأصول التي نفعها نافع للعيان، غني عن البرهان، كان من الواجب الاعتناء بغراستها وحفظها، خصوصا وقد اقتضى نظرنا، رغبة في نمو العمران وتسهيل أسبابه، وأن نمنح من يغرس الزيتون والنخيل بما في الفصلين الآتيين: الفصل الأول: كل من يغرس الزيتون أو النخيل بأرض بيضاء ليس بها زيتون أو نخيل سابق سواء كان ذلك بالأوطان المرتب بها قانون على ذكر أو الأوطان التي عليها العشر، لا يطالب بما على غرسه مما ذكر الا بعد إثماره ومضي خمسة عشر من غراسته...ويوظف عليه القانون بسعر نوعه بذلك الوطن، وأن كان بالأوطان العشرية فلا يطالب بعشر ما غرسه، الآ بعد مضي المدة المذكورة من غراسته، فاذا أثمر في خلالها وأراد صاحبه اجتناء غلته، فإن استأذن المكلف بالغابة ليوجه معه أمينين لتقدير تلك الغلة ويأخذ من المكلف حجة تتضمن شهادة الأمينين بمقدار الغلة، ولا يطالب بعشر ذلك المقدار عند عصره، وإنما يؤدي مصروف المعصرة المعتاد بين الفلاحة. والفصل الثاني: على كل من أراد غراسة الزيتون أو النخيل على الوجه المذكور، أن يأخذ تقريرا من الشيخ القاضي والعامل بذلك الوطن، فيما أراده من الغراسة....وقد أمرنا أولادنا العمال ومن له النظر في غابة الزيتون أو النخيل، أن يصرفوا عنايتهم بحفظها ووقايتها وكف اليد العادية عن إفسادها....ويقابل ما تضمنه بالاعتناء الذي يعود عليه نفعه وكتب يوم 24نوفمبر 1869م."

أحمد ابن أبي الضياف، ج6، مصدر سابق، ص ص133-134

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

1. ابن أبي الضيافى احمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مجا ومج ومج ومج4، جا وج3 وجه وجه وجه وج7 وج8، تح: لجنة من الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999.

2. ابن أبي الضياف أحمد، العقد الأول من إتحاف أهل الزمان بإخبار ملوك تونس و عهد الأمان، المطبعة الرسمية العربية، تونس، 1319ه.

3. ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف...، ج 3، مرا وتع: أحمد الطويلي، الدار التونسية، تونس، 1979

4. ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي ادينار محمد، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ط3، دار المسيرة، لبنان ،1993.

5. أندري جوليان شارل، تاريخ افريقيا الشمالية تونس - الجزائر - المغرب من الفتح الإسلامي إلى 330 تع: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس،1978.

6. بن العطار بن المبارك أحمد، تاريخ بلد قسنطينة 1790-1870م، تح تع وتق، عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر، الجزائر، 2011،

7. إبن العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استلائهم على أوطانها تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقدم وتعليق : يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009.

8. بن عبد العزيز حمودة، الكتاب الباشي، ج1، تحقيق: محمد ماضور، الدار التونسية، تونس، 1970.

10. بن عثمان السنوسي محمد، الرحلة الحجازية، ج2، تح: علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1981.

11. بن عثمان السنوسي محمد، مسامرات الظريف بحسن التعريف، ج1، تح وتعليق : محمد الشاذلي النيفر، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994.

12. بن عمر التونسي محمد، تشحين الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تح: ظليل محمود عساكر و مصطفى محمد مسعد، مرا: محمد مصطفى زيادة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1865.

13. بيرم الخامس محمد، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج2، تح: عبد الطاهر الشنوني، ط2، بيت الحكمة، تونس، 1999.

14. توفيق المديني أحمد، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر 1754-1830

م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، |

15. التونسي خير الدين، أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك، تق: محمد حداد، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر ،2012.

16. ج. أو هابنسترايت، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145ه - 1732م)، تر وتق وتعليق :. ج. او هابنسترايت، رحلة العالم الالمائي إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145ه -1232م)، تر وتق وتعليق: سعيدوني ناصر الدين، دار الغرب الإسلامي، تونس. 17.

17. خوجة حسين، الذيل الكتاب بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان، المطبعة الرسمية العربية، تونس،1908

18. المسعودي الباجي، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، تع وتح وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الافاق العربية، القاهرة. 2012.

19. مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري ومحمد محفوظ، مج 2، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1988.

ثانيا: المراجع

أ- المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.

2. الأرقش دلندة وأخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي مديا كوم، تونس، 2003.

3. باموك شوكت، التاريخ المالي للدولة العثمانية، تعريب: عبد اللطيف الحارس، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان،.2005

4. ،جراد بن محمد بلقاسم ، قابس عبر التاريخ، تونس، 1999

5. بن بن رجب رضا، يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية (16851857م)، تق: الأرقش عبد الحميد، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان،2010.

6. بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتح: محمد عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

7. تشابحي عبد الرحمان، المسألة التونسية والسياسة العثمانية 1881-1913، ترجمة وتعليق : عبد الجليل التميمي، دار الكتب الشرقية، تونس، د س.

8. التميمي عبد المجيد، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس - الجزائر – ليبيا من 1816م إلى 1871م، تق : منتران روبار، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.

9. التيمومي الهادي، كيف صار التونسيون تونسيين رحلة حنون معاصر في رحاب التاريخ ، دار محمد علي الحامي، د.س.

10.جحيدر عمار، آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1991

11.جلال يحي، المغرب الكبير العصور الحديثة و هجوم الاستعمار، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981

12.الجميعي عبد المنعم، الدولة العثمانية والمغرب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007. 15. الجميل سيار، تكوين العرب الحديث، دار الشروق، الأردن، 1997.

13.الحبيب تامر، هذه تونس، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948.

14.الحبيب تامر، هذه تونس، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948.

15.حسني عبد الوهاب حسن، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، مرا: محمد العروسي وبشير البكوش، مج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

16.خليل أحمد ابراهيم، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916م، دار ابن الأثير، جامعة الموصل،2005.

17.خير فارس محمد، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط1، دم، 1969.

18.درمون يونس، تونس بين الاتجاهات، دار الكتاب العربي، مصر، 1953.

19.درمون يونس، تونس بين الحماية والاحتلال، مطبعة الرسالة، دم، د س . ديوا جون، تونس، تع: الصادق مازيغ، الدار التونسية للنشر.

20.رائسي ادريس، القبائل الحدودية التونسية الجزائرية بين الاجارة و الإغارة 1830-1881، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 2016.

21.رياض زاهر، شمال إفريقيا في العصر الحديث ليبيا تونس الجزائر المغرب، دن، مصر، 1967

22.سامح عزيز آلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت،1989.

23.سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية، الجزائر، 1986.

24.سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية والوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

25.سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم ورحالة وجغرافيين، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1999.

26.السيد محمود، تاريخ دول المغرب العربي ليبيا تونس الجزائر المغرب موريتانيا، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2000.

27.الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس، تونس، 1993.

28.شمس الدين نحم زين العابدين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط1، دار المسيرة، عمان، 2011.

29.الطاهر بن عاشور محمد، أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي، ط1، دار السلام، تونس، 2006.

30.الطويلي أحمد، في الحضارة العربية التونسية، دار المعارف، تونس، 1988

31. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، 2012.

32. عبد السلام أحمد، المؤرخون التونسيون في القرون 17و18و19م، تر: أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الخليوي، ط1، بيت الحكمة ، تونس، 1993.

33. عبد السلام أحمد، مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986،

34. عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونس 1881-1956، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001

35. عبد الوهاب حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس مختصر مدرسي يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1373ه.

36. العربي الزبيري محمد، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1975.

37. عطا الله الجمل شوقي، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا تونس الجزائر - المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دت. 47.

38. علي البهلوان، تونس الثائرة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017.

39. غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي العهد التركي في تونس والجزائر، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

40. غنيمي الشيخ رأفت، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2005.

41. قانياج جان، أصول الحماية الفرنسية على تونس 1861-1881، تر: عادل بن يوسف ومحمد محسن البواب، دار برق ، دم، دس .

42. القصاب عبد المجيد، رحلة الى تونس عتبة السلام، د ط، دم، د.س.

43. مجموعة من الباحثين، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تح: الهادي التيمومي، بيت الحكمة ، تونس،1999.

44.المحجوبي علي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع: عمر بن ضو وأخرون، سراس للنشر والتوزيع، تونس،1986.

45.مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق: عبد المجيد خيالي، ج1، ط1، دارالكتب العربية ، لبنان ، 2003.

46. النيفر محمد، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، تذييل واستدراك : على النيفر، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.

ب- المراجع باللغة الفرنسية:

1 Habib Boularés. Histoire de la Tunisie Les Grandes dates de la préhistoire à la Révilution. Edition. 2012.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

بوتو قوماس حفيظة، الحياة الإجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني 1705-1835م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أرزقي شويتام، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2010-2011.

بوصباع وهيبة، العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر و مدينتي تونس و سلا كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين 17-18م، إشراف: أحمد صاري، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2013-2014.

حصام صورية، العلاقات بين إيالتي الجزائر و تونس خلال ق18م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: عبد المجيد بن نعيمة، جامعة وهران، الجزائر، 2012-2013.

سعيداني محفوظ، الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغاربية في العهد العثمانى (مقاربة تحليلية) من مطلع ق12ه -18 الى 1245ه -1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، اشراف: فلة موساوي قشاعى، جامعة الجزائر 2، 2011-2012

صنديد ياسين ، الأسرة الحسينية و دورها في العلاقات السياسية و الاقتصادية بين تونس وفرنسا 11171197ه/1705-1782م ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث، اشراف: إبراهيم سعيود، جامعة غرداية، الجزائر، 2012-2013

العايب كوثر، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711-1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف: محمد السعيد عقيب، جامعة الوادي، جامعة الجزائر ،2013-2014.

فيلالي السايح، العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1800-1830م، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، اشراف: برو توفيق، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1982-1983م. 12.

رابعا: المقالات والمجلات:

ابن أبي الضياف محسن ، "من هو ابن أبي الضياف"، م. ، ع14، ، تونس 1، مايو 1988. 2. الإمام رشاد، "سياسة حمودة باشا الحسيني في تونس 1782-1814م"، المجلة التاريخية المغربية، ع6، منشورات التميمي، تونس، 1976.

الإمام رشاد، "سياسة حمودة باشا الحسيني في المجال التجاري"، المجلة التاريخية المغربية، ع2، جويلية 1974، منشورات التميمي، تونس.

بن عجلان الحارثي تركي، "الوجود العثماني في تونس في الفترة ما بين 1246-1298ه/1830-1881م"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع4، المملكة العربية السعودية، رجب 1428ه .

التايب المنصف ، "المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني"، مجلة روافد، ع4 ، تونس، 1998.

جبار ابراهيم حسن، "ايالة تونس في عهد أحمد باشا باي" ، مجلة المستقبل العربي، العراق، د.س

حصام صورية،" لجوء بايات ايالة تونس إلى الجزائر خلال القرن الثامن عشر من خلال وثائق أرشيفية"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع12، جانفي 2015.

خامسا: القواميس والمعاجم والموسوعات:

أبو حمدان سمير، موسوعة عصر النهضة خير الدين التونسي، دار الكتاب العالمي، لبنان، 1993.

البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مج 1، ج1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1951.

.الزركلي خير الدين ، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ج1،15، دار العلم، لبنان، 2012.

الزمرلي الصادق، أعلام تونسيون ، تق و تعريب : حمادلي الساحلي ، ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت،1986.

الفاضل بن عاشور الطاهر، تراجم الأعلام، الدار التونسية للنشر، تونس، 19

الواجهة
البسملة
الإهداء 1
شكر وتقدير 5
المقدمة.....1
تمهيد للموضوع.....2
الفصل الأول.....1
شخصية ابن أبي الضياف وكتابه إتحاف أهل الزمان 8
المبحث الأول:نبذة عن أحمد ابن أبي الضياف.....8
1- مولده ونشأته : 8
تعليمه و شيوخه: 9
3- وضائف ابن أبي الضياف ووفاته وآثاره :.....15
4- أما بالنسبة لوفاته وآثاره:.....17
المبحث الثاني :دراسة كتاب إتحاف أهل الزمان 19
1. نبذة عن كتاب الإتحاف وأسباب تأليفه: 19
2 .منهج ابن أبي الضياف في كتابه: 25
المصادر التي إعتمد عليها ابن أبي الضياف في كتابه:.....28
الفصل الثاني: الأوضاع السياسية والإجتماعية لتونس خلال القرن 19م34
المبحث الأول: الأوضاع العامة خلال حكم الأسرة الحسينية الأولى والثانية (1837-1881).....34
الأوضاع السياسية:.....34
المبحث الثاني :الأوضاع الإدارية:.....47

المبحث الثالث :الأوضاع الاجتماعية.....49
الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية في تونس خلال القرن 19 م. 56
المبحث الأول: النشاط الفلاحيوالزراعي بتونس خلال 1837-1859م56
أولا: في عهد المشير أحمد باي (1855-1837م): 56
ثانيا: في عهد المشير محمد باي (1855-1859م 60
النشاط الصناعي الحرفي.....64
المبحث الثاني :إصلاحات محمد الصادق باي ووزيره خيرالدين التونسي في المجالين الزراعي و الصناعي. 72
أولا :في المجال الزراعي و الصناعي:.....72
ثانيا – في المجال الحرفي والصناعي : 74
الأسلوب والنقد 75
الخـــــــــــاتمـــــة.....76
قائمة الملاحق 76
قائمة المصادر والمراجع 76

قائمة المحتويات